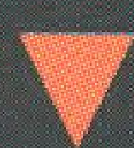
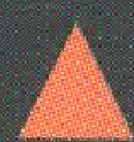
MAHMOUD DARWISH

شهادات
STATEMENTS

محمود درويش
وداعا ..



إعداد: نوّاف الزرو







مركز الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث

محمود درويش .. وداعا

محمود درويش .. وداعًا
كلمات عربيّة في رثاء الشاعر العربيّ الفلسطينيّ
إعداد : نوّاف الزرو / مؤلف من فلسطين
الطبعة الأولى 2008

مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث



ص. ب : 13725 ،
هاتف : 00973-322549
فاكس : 00973-320955
المحرّق ، مملكة البحرين
info@shaikhebrahimcenter.com

♦ ♦ ♦



الصفّ الضوئيّ والتنفيذ الطباعيّ :
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت ، لبنان



الغلاف والإخراج الفنّي : زهير **أبو شايب / عمّان ، الأردنّ**
صورة الغلاف : **نادر الداود / عمّان ، الأردنّ**

محمود درويش
.. وداعا

إعداد : نوّاف الزرو

مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث

هذا الكتاب

في التـاسـع من آب /٢٠٠٨ ترجل صـاحـب الملحـمـة الفلسطينيـة والنشيد الهوموري ليحدث رحيله هزة استثنائية في تاريخ الفكر والأدب والشعر . . .

فقد صدم موته المفاجىء الجميع في فلسطين وعلى امتداد الخريطة العربية والأممية . . .

فتفاعل معه في موته كما في حياته وأكثر ، المثقفون والسياسيون الرسميون والجماهير على حد سواء ، في إطار مشهد نادر يكشف لنا حجم حضور الراحل وتأثيره كشاعر ملحمي . .

مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث أعد هذا الكتاب بالاشتراك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

ويشتمل الكتاب على :

- مقدمة خاصة بقلم معد الكتاب ومحرره . . .
- السيرة الذاتية لمحمود درويش . .
- أعمال محمود درويش وإنجازاته والجوائز التي حصل عليها . .
- ثمانية فصول تتكامل من ألفها الى يائها في تقديم مشهد بانورامي عن المرحوم درويش ، يبدأ من فلسطين ويمر في عمان ، وينتقل إلى الفضاء

العربي فالأمي ، حيث تشارك في تأبينه واستذكاره نخبة واسعة من الكتاب والأدباء والشعراء العرب والأجانب .

(نعتذر هنا للزملاء الكتاب والأدباء والشعراء العرب الذين لم تسعفنا المساحة المحددة ، وكذلك لم يسعفنا الوقت الضيق جدا في أن يشتمل هذا الكتاب على أقوالهم وأشعارهم) .

المحرر

محمود درويش

إن ضوءا واحدا يغيب عن عالمنا يعد خسارة كبيرة لمسيرة النور وسط الظلمات .

والشاعر محمود درويش كان ضوءا ينير المسيرة في عالمنا ، متوهجا بنضاله الدؤوب بالشعر والفكر والثقافة ، وفي الانتماء للوطن ، وفي الحب ، وقد أملى على التاريخ ذلك .

فلسطين هي موئله ، والعروبة أصله ، وكل المطالبين باسترجاع حقوقهم هم أحباؤه .

عدته القلم ، وذخيرته كلمات ينطقها صدقا وحبا وانتماء لوطن كرس حياته مجاهدا من أجله .

حمل وطنه معه أينما رحل ، طاف به الدنيا ، أسمع الشعوب قصائده ، ونشرت الصحف كلماته على الرغم من أنه القائل :

وطني ليس حقيبة . . وأنا لست مسافر

أشعل همم المجاهدين من إخوته وشد من أزرهم بدفء عواطفه وتدفق آماله ، فكانت التضحيات وكان الفداء .

عبرت قصائده عن خلجات شعبه المناضل لاسترداد حقه وحريته في وطنه .

كان ينشد الحرية ويحفر الأرض بحثا عن جذورها في تراب الوطن

وموج سواحله .

يهتف في الآفاق فتطير كلماته بأجنحة التوق والشوق لتلامس آذانا منصتة لأناشيد الأمل ، تشدو بها حناجر فنانين يشاركونه الشوق والتوق .

رحل الشاعر الفلسطيني محمود درويش ، ولم ترتحل معه قصائده ، فهي تتردد في الأسماع عبر الأثير غناء شجن وحب وطن .

حسن كمال

عن مجلس أمناء مركز الشيخ إبراهيم للثقافة والبحوث .

مقدمة

ليس هناك أبشع من اغتصاب الأرض والممتلكات والوطن إلا محاولات اغتصاب التاريخ والرواية . . .

وليس هناك أقسى من التهجير-الترانسفير- القسري من الوطن إلا محاولات تهجير الوطن وشطبه من الذاكرة والحلم . . .

وليس هناك أشد من الصراع على الأرض . . . إلا الصراع على المفاهيم والذكرى والذاكرة . . .

فالحفاظ على الذاكرة الوطنية الجمعية إنما هو سلاح التدمير الشامل في مواجهة هجومهم الاستراتيجي الرامي إلى شطب القضية والهوية والذاكرة الوطنية . . . .!

الراحل محمود درويش كرس إبداعاته الاستثنائية في الدفاع عن قضية وطن مغتصب ومهود ، وعن شعب مذبوح ومشرد ، وعن عدالة قضية هي الأكثر عدالة في تاريخ الأمم المتحدة . . .

كما حرص درويش في شعره ونثره على فضح جرائم وعنصرية أبشع دولة تمارس العنصرية -الابرتهايدية- على وجه الكرة الأرضية ، وأخطر دولة تقترف جرائم الحرب على امتداد العالم . . .

حمل درويش فلسطين في وجدانه وعقله وشعره ، كما حملته جماهير فلسطين في قلبها وجراحها وآلامها . .

فزرع في الذاكرة الوطنية الفلسطينية والقومية العربية ذكرى النكبة وجريمة ومجزرة القرن . . .

فقام درويش بدور المثقف الحر في صناعة الرأي العام العالمي وراء قضيته ، وفي تحشيد الجماهير الفلسطينية والعربية خلف الهموم والقضايا الكبيرة للوطن والأمة . . ..

وأنتج وعمم وزرع كما عظيما من العطاء الشعري الممتد لأكثر من نصف قرن . . .

وامتد إرث درويش الشاعر والإنسان ، ليشع في فضاءات الأدب والشعر العربية والأممية . . .

فترجمت دواوينه وكتبه العديدة الى ٢٢ لغة ، فتنقل شاعر فلسطين بين الوطنية والقومية والإنسانية بسلاسة وانفتاح عالمي ملموس . . .

ما تم ترجمته بذلك الكم الهائل من الجوائز التي حصدها على امتداد الساحة العالمية . . .

فشكل درويش كما يكثف معن بشور : «مشروعاً ثقافياً متكاملاً ، وخزاناً رائعاً للتراث ، وذاكرة أصيلة للشعب ، ومستودع الآلام والآمال ، ومنارة للسفن التائهة ، ووقوداً لنضال شعب لا يعرف التعب» .

كان درويش قد كتب مطولته «جدارية» التي يقول فيها : «هزمتك يا موت ، الفنون الجميلة جميعها هزمتك ، يا موت الأغاني في بلاد الرافدين ، مسلة المصري ، مقبرة الفراعنة ، النقوش على حجارة معبد . . هزمتك . . وأنت انتصرت» .

وحين غادر فلسطين قال : «لم أعد قادراً على تحمل البقاء ، ولكنني أحيي كل الصامدين هناك» .

فطار الى هناك حيث اختتم في التاسع من آب/٢٠٠٨ محادثاته

الماراثونية مع الموت . . .

فترجل عاشق فلسطين- الوطن والشعب والقضية . . .

وقد هزم الموت رغم موته . . .

فإرثه باق ما دامت الحياة وما دامت فلسطين «هزمتك يا موت الفنون جميعها» . .

و«نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا» .

فطوبى لك فقيد الشعب والقضية . . .

وطوبى لملحمتك الفلسطينية بحجم الوطن والتاريخ . . .

نواف الزرو

شاعر الملحمة الفلسطينية
في ذمة الله

رحل شاعر الملحمة الفلسطينية محمود درويش السبت ٢٠٠٨/٨/٩ في أحد مستشفيات تكساس في جنوب الولايات المتحدة ، ليرحل معه أحد كبار الشعراء الفلسطينيين والعرب ، وقالت آن بريمبري الناطقة باسم مستشفى «ميموريال هرمان تكساس ميديكال سنتر» لوكالة فرانس برس : «توفي درويش في الساعة ١٣,٣٥ بالتوقيت المحلي (١٨,٣٥ ت غ)» من دون أن تدلي بتفاصيل إضافية .

وكان درويش الذي أجريت له عمليتا قلب مفتوح عامي ١٩٨٤ و١٩٩٨ قد خضع لعملية قلب مفتوح بمستشفى «ميموريال هيرمان» بولاية تكساس الاميركية ، لكن مضاعفات العملية أدت الى جلطة دماغية خفيفة وخضع للتنفس الصناعي وتدهورت حالته الصحية ، ولن يتاح لدرويش أن يكتب عن العملية الاخيرة كما كتب عام ١٩٨٨ عن عملية مشابهة قصيدته-ديوانه «جدارية» ، وفي بعض سطورها قال :

«هذا هو اسمك/ قالت امرأة وغابت في الممر اللولبي/ أرى السماء هناك في متناولِ الأيدي/ ويحملني جناح حمامة بيضاء صوب طفولة أخرى/ ولم أحلم بأني كنت أحلم/ كل شيء واقعي/ كنت أعلم أنني ألقي بنفسي جانبا وأطير/ سوف أكون ما سأصير في الفلك الأخيرِ/ وكل شيء أبيض . . البحر المعلق فوق سقف غمامة بيضاء/ واللا شيء أبيض

في سـمـاء المطلق البـيـضـاء/ كـنت ولم أكـن/ فـأنا وحـيـد في نواحي هذه الأبدية البيضاء/ جئت قبيل ميعادي فلم يظهر ملاك واحد ليقول لي . . «ماذا فعلت هناك في الدنيا . .»

«ولم أسمع هتاف الطيبين ولا أنين الخاطئين/ أنا وحـيـد في البياض أنا وحيد/ لا شيء يوجعني على باب القيامة/ لا الزمان ولا العواطف/ لا أحس بخـفـة الأشـيـاء أو ثقل الـهـواجس/ لم أجـد أحـدا لأسـأل . . أين «أيني» الآن . ./ أين مدينة الموتى وأين أنا . ./ فلا عدم هنا في اللا هنا» .

لقد جاءت وفاة درويش مثل «سيناريو جاهز» لم يتوقعه قراؤه .

وكان درويش قد منح آخر قصائده عنوان /سيناريو جاهز/ وهي دراما بين شخصين يقول فيها «لنفترضِ الان أَنا سقطنا/ أنا والعدو / سقطنا من الجو في حفرة . . فماذا سيحدث» .

وللخـروج من هذه المحنة يضع عـدة مـحـاولات للخـروج «في البـداية ننتظر الحظ/ قد يعثر المنقذون علينا هنا/ ويمدون حبل النجاة لنا/ فيقول . . أَنا أولا/ وأَقول . . أَنا أولا/ ويشـتـمني ثم أشـتـمـه/ دون جدوى/ فلم يصل الحبل بعد . . . أَنا وهو خائفان معا/ ولا نتبادل أي حديث عن الخوف أَو غيرِه/ فنحن عدوان . ماذا سيحدث لو أن أفعى أطلت علينا هنا من مشاهد هذا السيناريو/ وفحت لتبتلع الخائفين معا/ أَنا وهو . . . يقول السيناريو . . أنا وهو سنكون شريكين في قتل أفعى/ لننجو معا/ أو على حدة/ ولكننا لن نقول عبارة شكر وتهنئة على ما فعلنا معا/ لأن الغريزة -لا نحن- كانت تدافع عن نفسها وحدها/والغريزة ليست لها أيديولوجيا .

«ومع الوقت والوقت رمل ورغـوة صـابونة/ كـسـر الصـمت مـا بيننا والملل . قال لي . . ما العمل . . قلت . . لا شيء/ نستنزف الاحتمالات . قـال . . من أين يأتي الأمل . . قلت . . يأتي من الجـو . قـال . . إلام تنس

أني دفنتك في حفرة مثل هذي . . فقلت له . . كدت أنسى . . . شدني من يدي/ ومضى متعبا . قال لي . . هل تفاوض الآن . . قلت . . على أي شيء تفاوضني الآن في هذه الحفرة القبر . . قال . . على حصتي وعلى حصتك/ من سدانا ومن قبرنا المشترك . قلت . . ما الفائدة . هرب الوقت منا/ وشذ المصير عن القاعدة/ ههنا قاتل وقتيل ينامان في حفرة واحدة/ وعلى شاعر آخر أن يتابع هذا السيناريو» .

لم يكتمل السيناريو

إذن- على شاعر آخر أن يتابع هذا السيناريو ، إلى آخره . . لم يكتمل السيناريو ، مات محمود درويش ، وأسلم الروح الى الباريء . . توقف قلبه ، غير ان روحه كانت ترفرف في سماء فلسطين ، أسلم شاعر فلسطين والإنسانية محمود درويش الروح بعد عملية جراحية في مستشفى هيوستن بولاية تكساس بأميركا . . وهو يحلم بقصيدة تفيض بالعابر ، وتحضن الكون ، ويحلم بما تومض به حياة الفراشة بين الضوء والنار ، غير أنه لم يكن يحمل قلبه كي يموت غريبا ، وإن كان أدرك ذلك ، فأبقى الكلام لنا .

درويش الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، أخفق قلبه ، ويا لفجيعة الإخفاق ، ويا لفجيعة الشعراء ، ويا لفجيعتنا . . رحل درويش ، بعد أن حاولت الطبيبة ليزا لاغرون أن تعتذر ، غير أنها لم تقل سوى الحقيقة التي ينطوي عليها الشعر ، بما هو روح الشعراء .

درويش-السيرة

ولد محمود درويش عام ١٩٤١ في قرية البروة المدمرة في الجليل ، ونشأ وترعرع هناك واعتقل أكثر من مرة من قبل السلطات الإسرائيلية ،

ودرويش هو ثاني أكبر أربعة إخوة وثلاث أخوات ، وكان في السابعة من العمر عندما حصلت النكبة عام ١٩٤٨ وتشرد الفلسطينيون مع إعلان دولة إسرائيل .

احتل الجيش الإسرائيلي قريته البروة فغادرت العائلة الى لبنان لمدة سنة فقط قبل أن تعود سنة ١٩٤٩ لتجد القرية وقد دمرت على غرار ٤٠٠ قرية فلسطينية أخرى أفرغت من سكانها العرب وبنيت مستوطنات إسرائيلية على انقاضها ، فعاش لفترة قصيرة في قرية دير الأسد في الجليل ، قبل أن يستقر في قرية الجديدة المجاورة لقريته البروة .

تنقل بين قرى الجليل حيث تلقى دروسه الابتدائية والثانوية واستقر في شبابه في مدينة حيفا .

ويروي درويش أن جده اختار «العيش فوق تلة تطل على أرضه وظل حتى وفاته يراقب المهاجرين (اليهود) يعيشون في أرضه التي لم يكن قادرا على زيارتها» .

كانت أمه حورية لا تحسن القراءة والكتابة ، غير أن جده علمه القراءة ، ويقول إنه بدأ يكتب الشعر وهو في السابعة ، وكان الأول في موجة من الشعراء الذين كتبوا من داخل إسرائيل عندما كانت رئيسة الحكومة الاسرائيلية في تلك الفترة غولدا مائير تقول علنا «لا يوجد فلسطينيون» .

في عام ١٩٦١ التحق بالحزب الشيوعي الإسرائيلي ، «راكاح» ، حيث اختلط العرب واليهود ، وعمل فيه محرراً لصحيفته ، ومشرفا على تحريرها ، كما اشترك في تحرير جريدة الفجر وعدد من الصحف مثل «الاتحاد» و«الجديد» .

حقق له ديواناه «أوراق الزيتون» (١٩٦٤) و«عاشق من فلسطين»

(١٩٦٦) شهرته كشاعر مقاومة ، عندما كان في الثانية والعشرين من العمر ، أصبحت قصيدة «بطاقة هوية» التي يخاطب فيها شرطياً إسرائيليا «سجل ، أنا عربي ، ورقم بطاقتي خمسون ألف» صرخة تحد جماعية ، أدت إلي اعتقاله في مكان إقامته سنة ١٩٦٧ عندما أصبحت أغنية احتجاج ، وقصيدة «أمي» التي تتحدث عن حنين ابن سجين إلى خبز أمه وقهوة أمه ، وكانت اعترافا بسيطا لشاعر يكتب عن حبه لأمه ، لكنها أصبحت أغنية جماعية ، وكانت كغيرها من قصائد درويش الكفاحية المبكرة التي تحدثت عن الوجود الفلسطيني ، معيدة التأكيد على الهوية بعد شتات ١٩٤٨ ، كان الأول في موجة من الشعراء الذين كتبوا داخل إسرائيل عندما كانت جولدا مائير تصر قائلة : «لا يوجد فلسطينيون» وتزامن ظهور شعر درويش الغنائي مع ولادة الحركة الفلسطينية بعد الهزيمة العربية في حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧ ، ورغم ذلك كتب مقالة يقول فيها : «نريد منكم الحكم علينا كشعراء ، وليس كشعراء مقاومة» .

كان درويش يصف الصراع العربي الاسرائيلي بأنه : «صراع بين ذاكرتين» وتحدى بقصائده المعتقد الصهيوني المجسد في شعر حاييم بيالك «ارض بلا شعب لشعب بلا أرض» ، ويرى درويش أن الشاعر يصنع الشعر والجمال والسلام دائماً ، وحين تقرأ شيئا جميلا تجد تعايشا ، الأمر الذي فعله في قصائد من مثل «جندي يحلم بزنابق بيضاء» التي كتبت بعد حرب ١٩٦٧ فوراً ، ورغم الانتقاد إلا انه يقول : «سأواصل أنسنة حتى العدو . . كان الأستاذ الأول الذي علمني العبرية يهودياً ، كان الحب الأول في حياتي مع فتاة يهودية ، كان القاضي الأول الذي زج بي في السجن امرأة يهودية ، ولذا فإنني منذ البداية ، لم أرد اليهود إما شياطين أو ملائكة بل كائنات إنسانية» .

منعت السلطات الاسرائيلية درويش من الدراسة في إسرائيل ، ثم قرر دراسة الاقتصاد السياسي في موسكو سنة ١٩٧٢ ، ثم رجع وهو يقول : موسكو هي الفاتيكان ، لكنني اكتشفت أنها ليست جنة .

وفي سنة ١٩٧٣ التحق بصحيفة «الأهرام» اليومية في القاهرة ، وقرر أن لا يعود إلى حيفا ، ثم التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية ومنع من العودة إلى إسرائيل منعا استمر لستة وعشرين عاما . يقول درويش : «كنت صغيرا جدا لأرى التوازن بين وقوفي ضد هذه الظروف أو العثور على سماء مفتوحة لجناحي الصغيرين شاعرا ، أغوتني المغامرة ، غير أن الحكم النهائي لا بد أن يأتي مما فعلته في المنفى» ، هل أعطيت أكثر للثقافة الفلسطينية ؟ ويقول درويش : في الخمسينات من القرن العشرين آمنا نحن العرب بإمكانية أن يكون الشعر سلاحاً ، وأن على القصيدة أن تكون واضحة مباشرة ، على الشعر الاهتمام بالاجتماعي ، ولكن عليه الاعتناء بنفسه أيضا ، بالجماليات . . آمنت أن أفضل شيء في الحياة أن أكون شاعراً ، الآن أعرف عذابه ، في كل مرة أنهي فيها ديوانا ، أشعر أنه الأول والأخير» .

عاش درويش في الفترة الممتدة من سنة ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٨٢ في بيروت ، رئيسا لتحرير مجلة «شؤون فلسطينية» ، ثم مديراً لمركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، ثم أسس بعد ذلك مجلة «الكرمل» سنة ١٩٨١ ، وبحلول سنة ١٩٧٧ بيع من دواوينه العربية أكثر من مليون نسخة .

ترك درويش بيروت سنة ١٩٨٢ بعد أن غزا الجيش الإسرائيلي لبنان ، وأصبح درويش «منفيا تائها» ، منتقلا من سوريا وقبرص والقاهرة وتونس إلى باريس .

يقول درويش : «حررت نفسي من الأوهام كلها ، أصبحت ساخراً ،

أسأل أسئلة عن الحياة مطلقة ، لا مجال فيها للأيديولوجية القومية» ، وخلال ٩٠ يوما في باريس سنة ١٩٨٥ ، كتب رائعته النثرية «ذاكرة للنسيان» (١٩٨٦) ، وهي أوديسا سيرة ذاتية على شكل يوميات بيروتية تجري خلال يوم واحد من القصف الإسرائيلي الثقيل في السادس من آب ١٩٨٢ - يوم هيروشيما..

تزوج درويش من رنا قباني (ابنة أخ الشاعر السوري نزار قباني) سنة ١٩٧٧ لثلاثة أو أربعة أعوام ، غير أنها تركته لتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كيمبردج ، ثم تزوج لنحو عام في منتصف ثمانينيات القرن العشرين من مترجمة مصرية ، «حياة الهيني» ، ويقول : « لم نصب بأية جراح انفصلنا بسلام ، لم أتزوج مرة ثالثة ، ولن أتزوج ، إنني مدمن على الوحدة . . لم أشأ أبدا أن يكون لي أولاد ، وقد أكون خائفاً من المسؤولية ، ما أحتاجه استقرار أكثر ، أغير رأيي ، أمكنتي ، أساليب كتابتي ، الشعر محور حياتي ، ما يساعد شعري أفعله ، وما يضره أتجنبه» .

(عن وكالات/الرأي الأردنية- الحياة الجديدة الفلسطينية -القدس المقدسية)

والدة محمود درويش- قبّل رأسي وحضنني.. وحاولت منعه من السفر-

«رجوته ألا يجري تلك العملية اللعينة ، هو أيضا لم يكن يريد هذه العملية ، أنا أعرف ، أحسست بذلك عندما أخبرني ، لم أرتح من تصرفه يومها ، فقلت له لا تجرها ، رجوته وأمسكت به لمنعه من ترك البيت ، لكنه قال إنها ضرورية . . وراح . . يا ولدي عليك يا محمود . . راح قبلي . . راح وتركني . .» .

هذه بعض كلمات أم أحمد ، والدة الشاعر العربي الكبير محمود درويش ، التي كان لها أقوى حضور في شعره وحياته ، وبفضله تحولت الى إحدى أشهر الأمهات في العالم .

عمرها تجاوز الثانية والتسعين ، ولكن نشاطها الحميم وقوة إرادتها وإصرارها على أن تخدم نفسها بنفسها ، جعلها تبدو في المعتاد أصغر من سنها بكثير ، وأما في صباح يوم الوفاة ، بعد أن تجرأوا وأخبروها بأن محمود قد فارق الحياة ، فقد انهارت وفقدت في لحظات قليلة عشرات السنين من عمرها ، بدت هرمة عاجزة ، غارقة في ألم لا يعرف الحدود ، وبقدر ما استطاعت أن تستجمع من قواتها ، قالت لنا بعض الكلمات عن لقائها الأخير مع محمود ، الذي جرى قبل أسبوعين ، ونترك لها الحديث بلغتها العامية البسيطة : «أجا كالعادة بسرعة وراح بسرعة . فات غرفتي وباس (قبّل) يدي ورأسي وحضنني بقوة ، وقال إنه راح يعمل عملية بيقول

الأطباء إنها صعبة . . قال إنها أصعب من العملتين اللي قبلها . . حسيت إنه ما بدو اياها . خايف يا لوعتي منها . قلت له يا ابني لا تعملها . قال لي إنها ضرورية . قلت له لا تعملها . ترجيته إنه لا يعملها . . ما ردش علي . . قال إنها ضرورية . . هاي هي العملية الضرورية الملعونة جابت موته ، جابت موته قبلي . . يا حسرتي . .» .

وتروي شقيقته سهام ، التي كانت قريبة منه بشكل خاص ، أن محمود كان في حالة غير عادية في تلك الزيارة . هو كالعادة جاء بسرعة وبسرية ، ولكنه لم يتصرف بشكل عادي : «في المعتاد يصافحنا جميعا يقبلنا ويحضننا فردا فردا ، وينظر في عيوننا ، ولكنه هذه المرة وبعد أن عانق والدتي وراحت تحثه ألا يجري العملية ، لم يصمد . هرب من عيوننا ، كأنه لا يريدنا أن نقرأ في عينيه ذلك الألم ، وما يرافقه من دموع ، ابتعد عنا وهو يلوح بيده وغادر . . لم يحتضن أحدا سوى الوالدة وغادر . . ونحن لم نعتب عليه . تفهمنا تصرفه وكان عندنا أمل بأن يعود إلينا سليما معافى . .» .

(القدس-«الشرق الأوسط»-الاثنين أغسطس ٢٠٠٨/٨/١١

الفصل الأول:

فلسطين تودع شاعرها

فلسطين سرير درويش الأخير.. تبكي

بكت فلسطين بكاملها من غـزة إلى حـيفـا ، ومن القدس الى النقب وحتى رام الله شاعرها الكبير مـحـمـود درويش الذي ووري الثـرى على تلة في مدينة رام الله مطلة على القدس ، وذلك بناء على وصيته ، وبذلك تنطوي ورقة يانعـة الاخضرار في شجرة الشعر العربي المعاصر .

بيان وزارة الثقافة الفلسطينية

فقد أصدرت وزارة الثقافة في دولة فلسطين بيانا بعنوان : «وداعاً . . . أيها الشاعر» قالت فيه :

بقلوب دامعة نودّع الشاعر الكوني محمود درويش ، الصائغ الأمهر ، والمبدع الاستثنائي . . صاحب النشيد الهوميري ، على هذه الأرض . . . الذي منح بلادنا فضاء الحياة . . . فأينعت كلماته على ترابنا سياقاً معرفياً تجاوز الأقاصي والأمداء . . . ليحمل صوت شعبنا إلى حيث يكون العدل والحرية والإبداع . . . .

بسيرته ومسيرته . . استحق محمود درويش وسام الشعرية الفلسطينية باقتدار . . واستحق كذلك أن يكون المنشد الأعتى من بين الأصوات

الشعرية العربية . . محققاً بذلك انتصاراً لقضيتنا العادلة ووجع البلاد العميم في حمل قضيتنا الوطنية إلى الكون . . . إذ كيف للوداع أن يكون له بلاغة المراثي وقد ترجل الحرف عن صهوة المعنى . . فارتفع النشيج إلى سماوة البكاء والنزف . . . وارتفع الرثاء إلى سقف النحيب .

كيف نودّع الشاعر الكبير وقد قال كلمته الأخيرة مدركاً أن ما ينفع الناس يمكث في الأرض . . . وعلى هذه الأرض ما يستحق الحياة .

فطوبى للشاعر الذي كابد وعاند وشفّ وشاف . .

وطوبى لكلامه العالي بحجم البلاد

وطوبى له وقد كان رأسمالنا المعرفي . .

(وكالات-١٠/٠٨/٢٠٠٨)

بيان صادر عن بيت الشعر الفلسطيني

وجاء في بيان صادر عن بيت الشعر الفلسطيني : محمود درويش . . نقطة الضوء العليا الشاسعة وجمرة الشعر الواسعة بحجم فلسطين . . وماؤنا الشعري الثقيل الذي أوصل فلسطين الى العالم حرّة ومعافاة وعصية على الانكسار والرضوخ .

إنه محمود درويش الاسم الحركي لفلسطين والمغني الجوّال الذي حاس في المنافي والمغتربات ، وأسطر حكاية شعبنا العظيم وقال مقولته الأكيدة والناجزة في الدفاع عن الجماليات والسياقات العفية والنقية في الخطاب الثقافي الفلسطيني العربي .

وانفتح بقلب الشاعر على الإنسانية ليحقق حضوراً استثنائياً ومختلفاً ، فاستحق بجدارة واقتدار أن يكون مغني بلادنا العالية الذاهبة الى أفق الحرية والتحرير

سلام على روحك أيها الشاعر حتى ترضى
سلام عليك يا سيد الوقت
سلام عليك يا صاحب الكلام .

(مؤسسة فلسطين للثقافة-١١/٠٨/٢٠٠٨)

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ينعى درويش

كما نعى الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الشاعر درويش في بيان جاء فيه :

بحزن وألم كبيرين ينعى الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لشعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية وكل أحرار العالم الشاعر والمناضل الكبير شاعر فلسطين وابنها الوفي البار محمود درويش ، وهو في قمة عطائه وإبداعه من أجل قضيته فلسطين ، التي كتب لها وغنى لها أجمل القصائد ولم يألُ جهداً في إيصال صوت قضيته المقدسة إلى كل بقاع الأرض . . .

إن اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وهو ينعى شاعر فلسطين الكبير ، يشعر بالخسارة الجسيمة لفقدان هذا الصوت الجميل والمبدع والمشرق الذي واكب منذ قصائده الأولى قضية شعبه وأمته ، ونثرها طلقات مدوية لفلسطين كل فلسطين وفاءاً لفلسطين . . . للمقاتلين . . . وللأسرى . . . والشهداء . . . والجرحى والشعب الفلسطيني العظيم الصامد والعنيد

سنظل يا محمود نذكر لك أنك كنت من الرجال الشجعان الذين ظلوا أوفياء لشعبهم وأمتهم ، وسيظل كتابنا وأدباؤنا يذكرون ويفتخرون بشعر ومواقف محمود درويش الذي تجاوز حضوره من فلسطين الى الوطن العربي والى العالم

يملأ مساحة في عقولنا وضمائرنا . . . إنها دعوة للوفاء للشهيد الشاعر محمود درويش .

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الأمانة العامة

(دمشق ٢٠٠٨/٨/٩)

تأبين حزين في المقر الرئاسي وتشييع حاشد في شوارع المدينة

وقد شيع الوطن الفلسطيني قائدا وقيادة وجماهيرا ، وكذلك الشعب الفلسطيني في فلسطين ٤٨ ، وفي المنافي والشتات ومعه الأشقاء والأصدقاء ، جثمان شاعر فلسطين الكبير الراحل محمود درويش ، بمدينة رام الله ، في مراسم رسمية وشعبية وحزينة ، وغير مسبوقة منذ تشييع الشهيد ياسر عرفات عام ٢٠٠٤ .

وكان أعضاء القيادة الفلسطينية برمتها وكبار القادة والمسؤولين العسكريين والمدنيين وعلماء ورجال الدين ، وممثلو شعبنا الداخل الفلسطيني من نواب وقيادات وشخصيات ، وقادة وأعضاء ووفود عربية ودولية ممثلة وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد لدى السلطة الوطنية ، وكبار المثقفين والمبدعين ، وشخصيات معروفة من حركات السلام في إسرائيل ، وعائلة الفقيد وبضمنها والدة الفقيد «حورية» التي وصلت بمساعدة كرسي متحرك وأشقاؤه الثلاثة أحمد ونصوحي وزكي وشقيقاته ، استقبلوا الجثمان بالاصطفاف في صف امتد على طول يمين البساط الأحمر فيما نثرت الزهور على النعش لدى مروره .

وحمل ٨ ضباط النعش وقد لف بالعلم الفلسطيني وغطي بأكاليل من زهور بيضاء على الأكف ، وتقدموا ببطء في مشية عسكرية جنائزية وقد

سار خلفه مباشرة الرئيس أبو مازن أمام صفوف مستقبليه ، وجالوا به أرجاء المقاطعة زهاء ٢٠ دقيقة حفلت بالدموع ، وبالعويل وصرخات الحزن التي لم تفلح الحناجر في كبتها . قبل أن يعود صمت حزين يطبق على المكان .

ووجه الأخ الأكبر للراحل تحيات العائلة الى القيادات ، ممثلي الحركات السياسية والفكرية والثقافية ، للعمال للفلاحين للطلبة ، للمعلم الأول الجماهير الفلسطينية والعربية ، التي عبرت عن حزنها وحبها لمحمود ، فخرجت بكل أطيافها وشرائحها وانتماءاتها بمبادرات عفوية من مسيرات وإضاءة الشموع ورفع الأعلام الفلسطينية والسوداء ، وصور الفقيد والمهرجانات ، إضافة إلى طوفان الوافدين يوميا لتقديم العزاء .

وقال : آن لهذه الجماهير أن تحقق أمنياتها بإقامة الدولة وعاصمتها القدس ، وأن ترتاح من التضحيات التي لا تتوقف ، لكي تبني السلام ، والمستقبل بأمان .

واختتمت المراسم الرسمية بنقل الجثمان كما استقبل به من حفاوة الى عربة عسكرية تابعة للحرس الرئاسي الخاص ، وقد أحاط به ٨ من ضباط حرس الشرف واكبوه مع ثلة اخرى الى مثواه .

وقد احتشد آلاف رغم حرارة الشمس اللافحة على جانبي الشوارع التي اكتست حلة من الصور والملصقات والرايات السوداء والأعلام الفلسطينية لاستقبال الموكب ، ومن ثم مواكبته حيث أخذت المسيرة تكبر مع كل أمتار إضافية تقطعها قبل أن ينضم المشاركون في المسيرة الجنائزية الى حشود غفيرة توافدت على قصر رام الله الثقافي ومحيطه منذ الصباح للمشاركة في التشييع .

ورددت آلاف الحناجر المفجوعة بمصاب فقدان شاعر الشعب والثورة المبكر ، هتافات الوفاء لراحل عاهدت فيها روحه على مواصلة المسيرة حتى

يحرز شعبنا حقوقه ويحقق أمانيه وتطلعاته ، ما حول المسيرة الى تظاهرة وطنية كبرى أصرت رغم الإعياء على زف الراحل الى مثواه في عرس وطني يذكره ويخلده التاريخ .

(عن الحياة الجديدة ٢٠٠٨/٨/١٤)

الرئيس في وداع درويش

ودعا الرئيس محمود عباس الجهات الحكومية والرسمية المعنية بجبهة الثقافة ، إلى إيلاء هذه الجبهة ما تستحق من تركيز واهتمام ورعاية وتوفيرَ الإمكانات والموارد اللازمة لتمضي قدماً نحو تعزيز دورها ومكانتها والعبور إلى عهد جديد من الأصالة والتجديد .

وجاء في كلمة الرئيس :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين وبعد ،

أبناء شعبنا الفلسطيني وأمتِنا العربية والإسلامية جمعاء

أحباء الحرية والعدل والسلام في العالم

جميعنا اليوم نودع نجماً أحببناه إلى درجة العشق ، بعد ما كان التاسع من آب يوما فارقاً بتاريخ الثقافة الفلسطينية والإنسانية ، عندما ترجل ذاك الفارس العنيد عن صهوة الشعر والأدب ، ليترك فينا شمساً لا تغيب ، ونهراً لا ينضب ، من عطاء الخير والبشائر والأمل ، فيضعنا أمام امتحان الصبر والقدرة على استمرار العطاء والإبداع ، وإدامةِ تألق المشهد الثقافِي والإجابةِ على إشكالياته وتساؤلاته . .

وأضاف الرئيس : أما إليك أيها الحبيب محمود الذي رفضت في

الماضي مني ما سأقول ، لتواضعك وحيائك المشهودين ، أقوله لك الآن : لقد وحَدت فينا الفرح والأمل وكلّ القيم النبيلة ، كنت الإنسان فينا ، وستظل في كل مولود لنا .

واختتم الرئيس : ستظل معنا يا محمود لأنك تركت لنا ما يجعلنا نقول لك إلى اللقاء وليس الوداع ، لأنك أنت العشق والعاشق لنا ، وأنت المعشوق فينا .

لك الشموع تُضاء لأنك كنت الشمعدانَ فينا ، لك دموع الوفاء ، كيف لا؟ وفي كل مدينة وقرية ومخيم لك اسم . . . الشوارع والمدارس ومراكز الثقافة وشهادات الميلاد ، لك ملصقات الحائط ، العَلَم ، التقدم ، فرقة الإنشاد ، ومرسوم الحِداد - ﴿وإنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

حفنة تراب من البروة تدفئ قبر درويش في رام الله...

وعلى بعد خطوات من مكان أعلن فيه محمود درويش قبيل شهر عن رحيله القريب حينما أنهى رمي قصائده عن كاهله في آخر أمسية شعرية له في قصر الثقافة بالقول . . . «وقد امتلأت بكل أسباب الرحيل . . .» ، تجمع منذ صباح الأربعاء ١٣ / ٠٨ / ٢٠٠٨ آلاف المواطنين . . . فلسطينيون وعرب وأجانب ، مما سمح لهم بالاقتراب إلى بلاد عليها «ما يستحق الحياة» . كما قال لهم يوما . . .

كانوا جميعا يلتفون حول قبره المنصوب فارغا «في انتظار جثة» ولوحة رخامية كبيرة رسم عليها علم فلسطين يرفرف بالحياة عليها . وكتب «محمود درويش . . . على هذه الأرض . . . سيدة الأرض . . . ما يستحق الحياة» يليها بخط صغير تاريخ حياته «١٣/٣/١٩٤١-٩/٨/٢٠٠٨» وختمت بكتابه «البروة- فلسطين» .

وقد اختيرت قطعة الأرض تلك لعدة أسباب كما أعلن أيضا أحدها أنها تطل على مدينة القدس ، وثانيها أنها قريبة من مكان أحبه درويش وتألق فيه كثيرا «قصر الثقافة» ، وثالثها أنها تصلح لتكون مزارا عاما لمحبي درويش من كل المناطق . . .

وفي وقت الانتظار كانت المشاهد على تلك التلة تدعو إلى الحسرة والألم ، فكما الشبان والشابات كان الشيوخ وكبار السن وصغار السن أيضا ، من بين المشاهد صورة إحدى السيدات التي بكت طوال ساعات الوقوف ، تبدو عليها علامات تقدم السن كثيرا تقول إنها جارتهم في الجليل وإنها قدمت إلى هنا لتودعه ، فهي كما تقول لم تره منذ فترة طويلة وهو «بغلاوه» أبنائها الثلاثة والذين يصغرون محمود سنا .

وفي لحظة إنزال النعش كانت حفنات من تراب قريته البروة تحضر لترش على قبره . . . فيما كانت الأصوات تتعالى الكل يريد الاقتراب أكثر ليجمع أكبر قد ممكن من الصورة في مخيلته ، رغم الحاجز البشري الذي شكله رجال الأمن ، استطاع المئات الاقتراب وكل منهم يستجدي : «أريد أن أراه فقط للحظة» .

(فلسطين اليوم ، القدس ، وكالات)

مهرجان تأبيني للراحل الكبير في الجديدة

وشارك الآلاف في المسيرة لذكرى الراحل محمود درويش ، التي انطلقت من بيت العزاء في قرية الجديدة الجليلية ، لتختتم بمهرجان تأبيني للفقيد الكبير في ملعب كرة القدم في القرية ، ونظمت هذه المسيرة بمناسبة انتهاء أيام العزاء .

وحمل المشاركون في المسيرة صور الراحل درويش والأعلام السوداء

والأعلام الفلسطينية ، وتقدمتهم مركبة مثبت عليها مكبر صوت يصدح بأشعار درويش . ووصلت المسيرة إلى المفرق الرئيسي للقرية حيث حددت نقطة التجمع للمشاركين ، ومن ثم انطلقت مسيرة حاشدة لملعب كرة القدم حيث نظم مهرجان خطابي .

وشارك في المسيرة أفراد عائلة الشاعر الكبير وأصدقاؤها ، والنواب العرب واصل طه وسعيد نفاع ومحمد بركة وطلب الصانع ، وشخصيات اعتبارية ورجال دين وناشطون سياسيون ومثقفون ، ولفيف من أهالي الجليل والمثلث والنقب والضفة الغربية .

وتخللت المهرجان الخطابي كلمات تأبين للفقيد قدمها عدد من النواب العرب ومفتي الديار المقدسة محمد حسين ، والناطق باسم حركة فتح ومستشار الرئيس الفلسطيني ، أحمد عبد الرحمن ، ورئيس مجلس الجديدة المكر ، عفيف كيال ، وجواد بولص ، صديق الراحل ، والكاتب محمد علي طه ، والفنان والمخرج محمد بكري ، والدكتورة كوثر جابر ، الباحثة في شعر محمود درويش . واختتم المهرجان بكلمة شكر قدمها باسم العائلة شقيقه الكاتب أحمد درويش .

درويش في مرآة كتاب وأدباء وشعراء فلسطين

فيما يلي مقتطفات مما قاله عدد من كتاب وأدباء وشعراء فلسطين في المرحوم درويش :

محمود درويش.. الدال والدلالة

حسن البطل

. . . . حقاً ، كل الدال والمدلول ، أو جلّه في نصه الشعري ، يؤشر

بالعشرة ، إن كان للقصيدة أصابعها ، إلى قدس المكان وعذاب ناسه وجلجلة قضيته ، مربوطة بوثاق مكين بالوجع الإنساني والحلم الإنساني . . والسؤال الوجودي الإنساني .

ان شاعر الغنائيات فالجماليات ، ومايسترو سيمفونية الإيحاءات والاستعارات ، من بطون التاريخ إلى سماء ما بعد السماء الأخيرة ، هو باستحقاق شاعر الوطنية الفلسطينية في رحابها الفلسطيني الإنساني .

رسالته الوطنية في وعاء رسالته الإنسانية في وعاء رسالته الفلسطينية - الوجودية . . وقد نفخ في روح هذه الرسالات ، شهقها وزفرها معاً . . حتى فاضت روحه (انتظرني يا نشيدي) . . لكنه استدرك مسبقاً ودمج النشيد بالمنشد بالأنشودة في أحمد الزعتر (أخي أحمد : أنت العبد والمعبود والمعبد) .

فلسطين النضالية موجودة في كل حالاتها وأشكالها ، عارية إلا من روحها ، أو ترتدي دائماً ملاءة رقيقة أو درعاً سميكة لفلسطين العقيدة . . وأما فلسطين السياسية - السيادية ، فإن الأرض والوطن والزيتونة والبرتقالة . . وحتى الخبز والقهوة وخصر شجرة ما من أشجار الجليل موجودة في هواء زفيره وهواء شهيقه . إنه يتنفسها ، وهي تحييه وتقتله . المرأة أنثى والمرأة حياة والمرأة وطن .

سألته مرة : هل نحن جديرون بالنصر . . الآن؟ قال : ليس بعد . هل نحن جديرون بوراثة إسرائيل . . الآن؟ قال : ليس بعد . وهل أنسب هذا الكلام لك؟ قال : ليس الآن .

كان يريد فلسطينيين جديرين بفلسطين ، وكان يريد فلسطين جديرة بفلسطين . الحياة منحة وصدفة . . لكن الحرية جدارة .

هو جدير بالحياة ، وهو من بين قلة جدير بالفكرة الفلسطينية ، إنه

الأب الروحي للوطنية الفلسطينية في مائها وفضائها وسمائها الصحية والصحيحة والرحبة .

(الأيام ٢٠٠٨/٨/١٢)

ليس لنا عزاء

وليد أبو بكر

من حقنا أن نفجع برحيل محمود درويش ، وأن نبكيه كثيرا ، وأن يطول حزننا عليه ، وأن نكرم غيابه بما يليق ، لأن حضوره فينا لم يكن عادياً ، ولأن كل واحد منا تجسد فيه هذا الحضور ، وأثر فيه ، سواء أكان يعرف الشاعر الراحل ، أو لا يعرفه ، وسواء أكان يدرك حضوره فيه أم لا يدرك ، لأنه كان حضورا كليًا وفاعلا ، حضورا حلوليا لا افتعال فيه ، من شاعر لم يتشبع بالوجدان الفلسطيني الجمعيّ وحسب ، لكنه فاض به ، بكل وضوحه وثقله ، نحو العالم .

أصعب ما في غياب محمود درويش إذاً ، أن عجزا يواجهنا الآن ، وسوف يعيش معنا زمنا طويلا ، أمام هذا الغياب ، يفوق طاقة الكلمات على التعبير ، لأنه لم يكن مجرد غياب لشاعر كبير نعجب بما يكتب ، ولا مجرّد غياب لإنسان يستحقّ الحبّ لذاته ، ولا مجرد غياب لصاحب موقف ، شديد الوضوح في الذهن ، شديد القوة ، تشخيصا ومواجهة ، يصاب بالحزن حين يرى من يتعامل مع الواقع بتخاذل أو انحراف ، أو بالاكتفاء بخيوط أمل واهنة .

كان محمود درويش ذلك كله ، لكنه كان أكبر من ذلك كله : إنه الصوت الذي عشنا مطمئنين إلى أنه موجود بيننا ، يعبر عنا جميعا ، حين نعجز عن التعبير ، أو حين يخفت صوتنا فلا يفارق أفواهنا .

مع غياب محمود درويش ، لا يستطيع الحزن ذاته أن يكون عاديا ، ولا يستطيع الموت أن يظلّ عاديا : إنه الموت الذي يخطف منا أحلى ما فينا ، وإنه الحزن الذي سيظل مقيما ، نستشعره كلما شهق طفل أصابته رصاصة مستوطن ، أو احترقت فراشة من نار محتل ، ولن يعفينا من حلوله فينا خيط من أمل يحاول أن يعزينا .

إن غياب محمود درويش ليس له عزاء .

(الأيام ٢٠٠٨/٨/١٧)

يا شاعري محمود.. وداعاً

د. عادل الأسطة

تسألني مراسلة وكالة الأنباء : لم تميز محمود درويش عن رفاقه شعراء المقاومة؟ فأقول لها بسبب شاعريته . هل قرأت أنا منذ العام ١٩٧٦ شاعرا كما قرأتك؟ لا أظن ذلك . لم أكن أعرفك شخصيا ، لكن أشعارك وجدت صدى في نفسي ، فأخذت أقرأك غالبا قراءة ناقد متعاطف . كم من مرة قرأت أحمد الزعتر التي صدرت في كراس خاص ، قبل أن تصدر في ديوان «أعراس» (١٩٧٧) الذي أعادت دار الأسوار في عكا طباعته وطباعة ديوانيك «أحبك أو لا أحبك» (١٩٧١) و«محاولة رقم ٧» (١٩٧٤) ، وفي فترة متأخرة «حصار لمدائح البحر»؟ لا أدري ، ولكني قرأتها كما لم أقرأ شعرا من قبل .

سأتذكر قصيدتك : «حجرة العناية الفائقة» من ديوان : «هي أغنية . . هي أغنية» (١٩٨٦) ، سأتذكر أسطرك فيها :

«هو القلب ضَلَّ قليلا وعاد ، سألت الحبيبة : في أي قلب أصبتُ؟ فمالت عليه وغطّت سؤالي بدمعتها . أيها القلب . . يا أيها القلب كيف

كذبت عليّ وأوقعتني عن صهيلي؟
لدينا كثير من الوقت ، يا قلبُ ، فاصمد
ليأتيك من أرض بلقيس هدهد
بعثنا الرسائل
قطعنا ثلاثين بحرا وستين ساحل
وما زال في العمر وقت لنشرد»

كم مرة خانك قلبك ، ولكن الطب أسعفه . هذه المرة لم يسعفك أمهر الجراحين في العالم . هل خانك قلبك أم خانك الطب أم خانتك الدنيا بعد أن مر وقت كثير دون أن يأتي الهدهد من أرض بلقيس ، ودون أن تأتي إجابات الرسائل ، وبعد أن قطعت ستين بحرا ومائة وعشرين ساحلا ، لم يعد لديك في العمر وقت لتشرد ، نحن ما زلنا نشرد ، الآن لا نتابع أخبار قلبك ، لقد غدا قلبنا ، نحن أبناؤك ، يوجعنا ، ولا أظن أن إجابات الرسائل ستصل .

هل كنت يا شاعري ، تودعنا؟ محمود درويش . . وداعاً .

قاص وناقد وأكاديمي فلسطيني - ١٥-٠٨-٢٠٠٨

دفن قبره

حافظ البرغوثي

كان كأنما دفن قبره في تاء الموت المفتوحة . . ونهض على حافته يتقبل العزاء بنا . . ويعبر عن حزنه المرتد فينا . . يصحح كسورا في أكاليل زهرنا . . ويعرض صدره المفتوح . . ليستقيم عجزنا على بحره الكامل أبدا . . فما كان ينطلق من حنجرته في قصر الثقافة الذي تسمى باسمه كان يشير اليه . . وما كان يسطع من أشعة الشمس كان يمازح بريق عينيه

تحت نظارتيه اللامعتين . . وما كان يهب من نسيم غربي خديج . . كان يكشف عن مكامن المعاني المخبأة بين طيات دفاتره .

المحمود لم يكن هناك في نعشه . . تسرب على حين غرة من وجومنا وامتزج مع أشعة الشمس والنسيم . . وسمعته يتردد بين جنبات الوادي صدى تطلب آذاننا اللجوء إليه وطيفا تطارده عيوننا لعلها تحتويه برموشها . . تحاول ردع لغز القدر .

ودعناه بل ودعنا . . ودار في التلة من جهاتها الست ، سبر غور الأرض . . وتلفت شمالا وجنوبا وغربا وحدق نحو الشرق نحو القدس . . فيأخذه الجمال الى الجميل . . وانتشل جثة الأرض الى السماء . . فلماذا تطفلنا على خلوته؟ دعوا الشاعر منشغلا في أشيائه . . وإزالة غبار الطريق عن نعليه . . ورذاذ المحيط عن نظارتيه ، ومبضع الجراح عن شريانه . . دعوه عند ابيضاض التمدد . . يحاول ألا يخجل من دمع امه . . وصبوا عليه سورة الرحمن .

(الحياة الجديدة الفلسطينية)

الشاعر الديك: اليوم رحلت قامة ورحل معجم

الشاعر الفلسطيني عصام الديك رأى أنه تم تشييع قامة إبداعية عالمية فقال : أرى اليوم فارساً على الأكف وشاعراً على الروح ينزف إلى حاضرة ستحيا ولموقع سيذكر والمزار سيؤمه الراحلون ويقيمون على دفئة المقيمون ، أرى اليوم الأربعاء يوماً من أيام الشعب الفلسطيني ، يوماً يقترن حرقة وجفاف حلق عند تشييع رموزنا بما يليق ، سيكون يوماً لا فصائل فيه ولا فواصل ، لا رأي فيه إلا الرأي الجميل ، ولا عتبات تبكي ولا أطلال تذكر غير ما نحن به .

سيكون اليوم غمامة حزن وفضاء من حديد ، سيكون اليوم رحيل قامة وتوقف معجم . أنا لا ما خطه درويش على جبين الأمم ، إنما أبكي اللغة والمفردة التي لم يدونها درويش في معاجم اللغات ، هذه خسارة وفجيعة قضية ، وجفاف يتخلل الغابات الوارفة .

اليوم . . اليوم سيكون فيه ما سيكون وأملي بالأمة الفلسطينية التي أنجبت مثل درويش كبير ، فاليد التي هزت سرير درويش لا بد ستهز أسرة الفدائي الأول الذي سيواصل وسيحرر ويحرر ويحرر .

لذكرى سنديانة فلسطين

واصل طه

غـادرَ العـاشـقُ الزمـانَ ، بعـد أن أنهى تطريزَ ثوبِ عـروسـهِ بخـيـوطٍ لا تبلى ، هي من أشـعـةِ الـشـمـسِ وعـبـقِ البـرتقـالِ ، ومن شـذى الريحـانِ والياسمين .

عروُسكَ يا محمودُ بانتظارِ العودةِ ، عودةِ الأحبةِ من عينِ الحلوة ، من نهرِ البارد ومخيم حمص وأخواتِهم في الوطنِ والشتات . يومَها سنفرُح كثيراً ، ونغني قصيَدك في ساحاتِ الوطنِ ، فهي جزءٌ منا ، كما الأرضُ واللغةَ ، ويتحققُ الحُلمُ ، أيها العاشقُ الذي علمتنا حُبَّ فلسطين .

سنبـقى حـراسـاً للزيتـونِ والبـرتقـالِ ، لن نبـرحَ البـيـارةَ حـتى يعـودَ أصـحـابُها . هذا قـدرُنا ، أن ننهضَ بعـد كلِّ حـزنٍ ، لأننا على موعـدٍ مع الحبيبِ هذا هو «نحن» في هذا الكونِ .

«هذا هو العرسُ الذي لا ينتهي
في ساحةٍ لا تنتهي
في ليلةٍ لا تنتهي

هذا هو العرسُ الفلسطيني
لا يصلُ الحبيبُ الى الحبيبِ
إلا شهيداً أو شريداً » .

لن تذهبَ يا محمودُ كأيٍّ راحلٍ ، فقد تركت فينا ما يستمر مع الأجيال فأنت باقٍ هنا ، «نعم المهم أن نبقى . . . بقاؤنا انتصار» .

وسيبدأ زمنٌ جديدٌ ستكون أنتَ فيه كما عودَتنا أنشودةَ ومعزوفةَ وقصيدةَ الانتصار .

(فصل المقال-٢٠٠٨/٨/٢٢)

محمود درويش.... أقربُ من زهرِ اللوز

نمر سعدي

(مقطع من قصيدة تتكون من ١٥ مقطعا)

فلسطينُ محلولةُ الشعرِ تندبُ عاشقها وتولولُ كالأمهاتِ الحزيناتِ
تبحرُ في بحرِ أدمعها . . .
والأكفُّ التي لوَّحتْ لكَ يا سيِّدي زورقُ
فلسطينُ تلثمُ عينيكَ . . . . مخملَ كفَّيكَ . . . تلثمُ منكَ الشذى بالشذى
يا لهذا الوفاءِ وهذا الجنونِ الجميلِ بحارسِ شمسِ أنوثتها
يا لأحلى الشفاهِ التي كانَ جنَّنها المفرَقُ .

لماذا تركت الحصان وحيداً؟!

د. عدنان بكريه

«لا شيء يوجعني على باب القيامة لا الزمان ولا العواطف ، لا

أحسّ بخفة الأشياء أو ثقل الهواجس ، لم أجد أحداً لأسأل أين «أيني» الآن؟ أين مدينة الموتى ، وأين أنا؟

آه أخي محمود انتظرناك فقط قبل أسبوع عند بئر صغيرة على تلة الموتى في مسقط رأسك البروة . . حيث داعبت أنت فراشة الوادي وروضت غزالة البراري . . «وقفتُ في الستين من جرحي . . . وقفتُ على المحطة . . . لا لأنتظر القطار ولا هتاف العائدين من الجنوب إلى السنابل . . . بل لأحفظ ساحل الزيتون والليمون في تاريخ خارطتي» وقفت هناك عند تلة الموتى رأيت الحصان يصهل وكأنه كان يعرف بأن فارسه سيترجل عما قريب سيترك المبارزة !!

أخي محمود . . ها أنت تعود كما تمنيت واشتهيت إلى صدر أمك ، إلى شعبك إلى أرضك إلى حبيبتك إلى العشب المبلل بعطر الندى ، إلى البئر القديمة إلى الذكريات وأمسيات البيادر إلى ليالي البروة الحزينة . . قد فتحت أخي جراح المدينة . . تبكيك التلال تبكيك الوديان وتبكيك البلاد . . ها أنت تعود . . لبست فلسطين ثياب الحداد . . عدت إلينا عريسا على حصانك الفلسطيني . . تمنيت أن تكبر في حضن أمك وتشرب من قهوة أمك ومن بئر البروة . . . فأهلا بالعريس العائد من الرحيل محمود درويش

أحن إلى خبز أمي وقهوة أمي . . . . . ولمسة أمي . . . . وتكبر فيّ الطفولة يوما على صدر أمي وأعشق عمري لأني إذا متّ أخجل من دمع أمي//خذيني إذا عدت يوما وشاحا لهدبك وغطي عظامي بعشب تعمّد من طهر كعبك وشدي وثاقي بخصلة شعر بخيط يلوّح في ذيل ثوبك .

٢٠٠٨/٨/٩

درويش يلملم آخر عظمه

بشار الطميزي

(من قصيدة طويلة)

لا تفتحوا كفة يدي . .
هكذا أوصتني مريم العذراء . .
أن لا أفتح أمام الناس يدي
لا تفتحوا كفة يدي . .
في يدي تستحم حيفا . .
درويش ماذا جمعت من رفات الثوار البرونزيين عندما هزموا؟؟
جمعت عشر رؤوس . .
وألف عين . .
وألف صهيل حصان معقوب . .
وسلاح واحد . .
كيف يدخلون الحرب بسلاح واحد؟؟
يا جنرال كان سلاحهم الله . .
أيا مبعوث الرب لنا . .
إن كانت تسعدك الرتبة الإلهية . .
الثائر في وطني يولد جاهزا للموت . .
الروح من الأموات للسماء تغدو . .
إلا الثائر . .
روح تعود للرحم . .

الفصل الثاني:

عمان تودع درويش أيضا.....!

حزن كبير يسود الأوساط الأدبية الأردنية...

في عمان أيضا - وفي مطار ماركا العسكري شرقي العاصمة الأردنية عمان ، أقيم حفل استقبال ووداع لجثمان الشاعر الذي كان في استقباله شخصيات رسمية فلسطينية وأردنية ، وشارك أدباء وشعراء وفنانون وكتاب أردنيون في الاستقبال إلى جانب مارسيل خليفة الذي غنى كثيرا من قصائد درويش .

واصطف حرس الشرف الأردني لتحية الجثمان بينما حمل ١٢ ضابطا من جيش التحرير الفلسطيني في الأردن النعش الذي لف بعلم فلسطين وسجوه في قاعة انتظار داخل المطار .

وفي عمان ودّعه رسميون وسياسيون ومثقفون ووزيرة الثقافة الأردنية نانسي باكير .

وقال رئيس المجلس الوطني الفلسطيني سليم الزعنون : «أنت سياسي عظيم كنت في اللجنة التنفيذية أصلب الرجال كنت لا تقبل خطأ ، وإذا رأيت الأمور كما تعتقد تنحيت جانبا» .

وقال رئيس الديوان الملكي السابق رئيس الجامعة الأردنية الدكتور خالد الكركي : «كيف يمكن للكلام أن يكون في حضرة سيد الكلام؟ ، لقد كنا نحبك حيا ونظل نحبك ، لماذا تركت الزمن العربي وحيدا؟ ، كان عمرك قصيرا وإبداعك عظيما ولا نعرف من سيؤنس الشعر بعدك» .

وتابع : «لقـد انتظرت الموت بنفس الأمـيـر البـديع ، مت شـاعـرا أسطوريا . . صرت فكرة كـما أردت وطائرا فينيـقيـا . . لقـد صرت كل ما تريد» .

وصعد مارسيل خليفة وغنى قصيدتين لدرويش كـانتا سبب شهرة خليفة هما . . . «أحن الى خبز أمي ، ويطير الحمام» .

ومن جهة أخرى نعت وزيرة الثقافة الأردنية السيدة نانسي باكير ، والأمين العام للوزارة الشاعر جريس سماوي ، ورئيس اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين الدكتور صادق جودة ، ورئيس رابطة الكتاب الأردنيين الكاتب سعود قبيلات ، والمثقفون الأردنيون ، رحيل الشاعر العربي الكبير محمود درويش .

نانسي باكير

قالت الوزيرة نانسي باكير في كلمتها :

«لم يمت درويش ولم يرحل من نفوسنا ، فكل قصيدة رمز من رموز الحياة وعزاؤنا هذا الإرث الذي تركه فينا» ، وأضافت : «إن هذه اللحظة من أصعب لحظات حياتي والتي أمثل فيها الحكومة الأردنية في مصاب جلل أدمى القلوب وأنا أشارك في تشييع رمز من رموز النضال الفلسطيني» .

وأضافت : «فقدان محمود درويش يشكل خسارة كبيرة للثقافة العربية ، ونحن في الأردن نشعر بالخسارة ، كون الفقيد الكبير كان قريباً من الحالة الثقافية في الأردن ، ويقيم بعض وقته في عمّان ، إن محمود درويش حالة من الإبداع الذي نعتز به ، وسيبقى اسمه خالداً في تاريخ الأدب العربي» .

جريس سماوي - أمين عام وزارة الثقافة

وقال جريس سماوي أمين عام وزارة الثقافة : «إن فقدان قامة عالية مثل درويش سيترك أثراً بالغاً في حركة الشعر العربي الحديث ، لقد كان اختراقاً شعرياً وحالة استثنائية ، واستطاع بإبداعه العالي أن يجرّ الجمهور إلى مساحاته الإبداعية وتخومه ضمن شروطه هو ، لا شروط الجمهور .

لم أكن أتوقع موته ، وكنت أعد العدة بالترتيب معه لأمسية شعرية كبرى له في عمّان . لكن درويش أنهى الآن كتابة قصيدته بشكلها النهائي .

لقد قدمتُه في أكثر من أمسية شعرية ، وفي أكثر من توقيع كتاب ، وعندما قدمته في توقيع كتابه (في حضرة الغياب) لاحظت الحضور الطاغي للموت في نصه ، ذلك النص الجارح والحزين والمليء بالوجد» .

سعود قبيلات -رئيس رابطة الكتاب والأدباء الأردنيين

«رحيل درويش خسارة كبيرة للحركة الثقافية العربية . لقد نقل القصيدة العربية إلى مستويات متطورة ، وأصبح علامة مهمة في الأدب العالمي ككل ، وعبّر عن قضية شعبه العادلة بلغة إنسانية وأدبية رفيعة ، ولذلك سيبقى أدبه خالداً بعده ، وسيصبح جزءاً مهماً من التراث الأدبي العربي والإنساني» .

صانع أسطورة الفلسطينيين

فخري صالح -من أصدقاء المرحوم-

الكاتب الناقد الأدبي فخري صالح من أصدقاء المرحوم كتب قائلا :

يمثل شعر محمود درويش قمة نضج القصيدة العربية في الزمان

الحديث ، وبلوغ هذه القصيدة أفق الشعريات العالمية ، فهو المطلع على التيارات الشعرية الكبرى في لغات عديدة ، أصبح واحدا من شعراء العالم الكبار الذين حولوا مسار الكتابة الشعرية .

لقد ظل محمود مشدودا ، في مراحل تطور تجربته ونضجها ، إلى حالة المخاض التي مر بها الشعر العربي منذ نهاية الأربعينيات ، وإلى الانتهاكات الشكلية التي أوصلت شعرنا المعاصر إلى ما تحقق على يدي درويش وأقرانه من الشعراء العرب الكبار خلال النصف الثاني من القرن العشرين .

لقد أصبح درويش صانع أساطير ، يولّد حكايات من حكايات ، ويبني عالما أسطوريا تتمازج فيه حكايات الشعوب وأحلامها في أرض القصيدة ، التي تسعى إلى وضع حكاية الفلسطينيين في أفقها الكوني وتخليصها من محليتها ومباشريتها . وقد انعكس ذلك غموضا فاتنا على صوره وعالمه الشعري الذي ظل يحاول ، لفترة زمنية طويلة ، التخلص من حمولته السياسية المباشرة لصالح إنجاز قصائد كبيرة قادرة على أن تجدل الراهن بالعابر للتاريخ والمتجدد عبر الزمن ، إنه يمزج في قصائد «أرى ما أريد» بين نوعين من التخليق الأسطوري : الأول يقيم من عناصر الطبيعة والوجود مشهدا فردوسيا متخيلا ، أما الثاني فيسعى إلى بناء أساطير كبرى من فتات حكايات ومواد أولية مستعارة من بنى أسطورية متداولة في ثقافات الشعوب .

لقد عمل درويش في سنواته الأخيرة التي قضاها على هذه الأرض على تأجيج تجربته الشعرية ، على تزويج شعريات مختلفة لبعضها بعضا ، والاهتمام بالثيمات الكبرى (الحب والموت ، الانتصار والهزيمة ، الجسد والفكر ، الأنا والآخر ، إلخ) ، وكذلك السعي للكتابة عن التفاصيل

الصغرى والهوامش لكتابة قصيدة كونية ، بالغا في شعره ذرى كان سيواصلها لو كان هناك بقية من عمر .

(من الملحق الثقافي -صحيفة الدستور الأردنية ٢٠٠٨/٨/١٦)

الدكتور عز الدين المناصرة - شاعر وناقد

وقال الشاعر والناقد الدكتور عز الدين المناصرة :

«عندما جاءني الخبر فزعت فزعاً شديداً ، لأن علاقتي الشخصية بمحمود درويش ، هي علاقة الصداقة العميقة في الحياة ، وفي الشعر ، وزاد من حزني عليه أننا افترقنا منذ سبع سنوات على خصومة ملتبسة لعب فيها بعضهم دوراً كبيراً ، فلا هو عاتبني ، ولا أنا عاتبته ، لكنني لم أقل في أية لحظة إن درويش ليس شاعراً كبيراً ، بل هو شاعر كبير موهوب ، استطاع أن يوصل حداثته الشعرية الخاصة إلى الجماهير العريضة ، التي أحبّت قصائده .

إن رحيله خسارة كبرى لثقافة الشعب الفلسطيني وللشعر العربي الحديث . وأنت يا محمود تموت منفياً مثل كل المنفيين من أبناء شعبنا الفلسطيني ، ولكن اسمك قد دخل في سجل الخالدين الذين أعطوا لشعبهم الكثير ، وستبقى حياً في ضمير محبّيك» .

إلياس فركوح- روائي أردني

أما الروائي الأردني إلياس فركوح فقال :

«رغم حالة التوقع برحيل درويش ، إلا أن الحدث بحد ذاته شكّل صدمة لا مهرب منها ، إذ الوقْع تركَ في داخلي سؤال الفراغ كم هو كبير سيكون إذ رحل شاعرنا الكبير . ليس سهلاً استبدال شاعر بآخر ، فكيف

يكون الحال إذا ما غاب عنا صاحب قامة شعرية أرى أن الثقافة العربية لن تنتج مثيلاً لها عبر عقود وعقود .

لم يكن محمود درويش مجرد شاعر ، ولم يكن مجرد فلسطيني ، ولم يكن مجرد نجم ثقافي . بل كان ذلك كله ، إضافة إلى كونه أحد المثقفين العرب الأعمق معرفةً والأحرص على نقاء المفردة حين يرصفها إلى جانب غيرها في سطر لم يكتمل رغم مئات الصفحات التي ملأها . أرى أن درويش لم يكمل جملته بعد . ربما ترك البقية لنقولها نحن ، لكنني على ثقة كاملة ، بأننا مهما اقتربنا من تلك الجملة فلن تكون جملته هو . رحيل درويش خسارة كبيرة بحق الشعر العربي والشعر في العالم» .

يوسف عبد العزيز - شاعر أردني

«بوفاة الشاعر العربي الكبير محمود درويش يكون الشعر قد تيتم تماماً ، ليس هذا فحسب ، تكون فلسطين قد تيتّمت على نحو خاص ، فهذا الأب الشعري الذي انشغل منذ بداياته بتقديم فلسطين إلى العالم من خلال مشروعه الكبير رحل في أوج عطائه . في أعماله الأخيرة كان يبدو للجميع أنه يخاتل الموت الذي يتربص به في كل مكان ، إلى الحد الذي كان يترك فيه الباب لأصدقائه دون المفتاح . إذا كان هذا الشاعر الكبير قد مات فلنا في شعره العظيم العزاء ، فأعماله الكثيرة ما تزال تشع بكل ذلك الدفق والحنين والحب والجمال» .

إبراهيم نصر الله - شاعر أردني

«محزن للغاية ومصاب كبير ، هذا الموت أصابنا جميعاً ، أصاب أحلاماً بُنيت على أكثر من خمسين عاماً ، وأصاب أملنا في مستقبل

انتظرناه . محزنٌ الرحيل قبل أن تتحقق الأحلام ، ومحزنٌ ونحن ننظر إلى هذا الواقع المتردي . هي تراجيديا ملهاة ، نتأملها وطنياً وإنسانياً ، وفي الحالين تصيبنا في القلب» .

جمال ناجي - روائي أردني

«أنا واحد ممن فجعوا بهذا الخبر غير السار ، وما أزال تحت وقع الصدمة ، ليس بسبب مفاجأة الموت ، وإنما بسبب الخسارة الفادحة التي مُني بها الأدب العربي جراء موت واحد من أصحاب المدارس الشعرية المجددة التي تأثر بها الكثيرون من الشعراء العرب ، وشكلت ما يشبه الموجة التي امتد تأثيرها في أبيات وقصائد كثيرة ، في كل أنحاء الوطن العربي ، الأمر الذي يدعوني إلى القول إن هذا التأثير في صيغته المستقبلية قد توقف ، وأصبح علينا أن نعيد قراءة أعمال درويش وتفسيرها واستيعابها ، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي نضمن خلالها بقاءه بيننا ، دون أن نغفل الدور العالمي الكبير الذي اضطلع به شاعرنا في الدفاع عن الحق الفلسطيني ، عبر القنوات والوسائل الإعلامية العالمية التي قدمت أفكاره التي كان لها أثر كبير في خدمة هذه القضية» .

د. محمد عبيد الله- ناقد أردني

«لا شك أن فقدان درويش يشكل صدمة للمثقف والإنسان العربي بشكل عام ، فغيابه في هذا الزمن الصعب غياب لصوت الإبداع والحرية ولكل المعاني التي ارتبطت باسم محمود درويش كمرادف لفلسطين طوال العقود السابقة» .

مهى العتوم - شاعرة أردنية

«برحيل درويش نفقد أحد أهم آبائنا في الشعر ، ذلك أن درويش عمدة جيل الشعر العربي المعاصر ، وأحد أهم أعمدته ، وقد خلق تياراً شعرياً يصعب على شاعر عربي أن ينفي عن نفسه تأثره به ، وتتلمذه عليه ، وهو شاعر كبير ، ليس بالكم الشعري الذي تركه ، ولكن بمستويات الكيف والفن والجمال والاختلاف الذي أضافه إلى القصيدة العربية الحديثة» .

(القدس - الاثنين ١١/٨/ ٢٠٠٨)

قراءات من ديوان درويش على شموع خافتة

وطاف محمود درويش ، مساء ٢٠٠٨/٨/١٧ ، حول المكان ، وشارك قارئيه من شعراء الرابطة : زهير أبو شايب ، ويوسف عبد العزيز ، وطاهر رياض ، في ديوانه لماذا تركتَ الحصان وحيدا؟! ، وعلى أنغام عازف العود نصري خالد ، وفي حضور كثيف ، وشموع خافتة ، قال نائب رئيس الرابطة الشاعر زهير أبو شايب إنّ من واجبنا أن نقرأ درويشاً كثيراً ، وإن الرابطة التي كان الراحل صديقاً لها ، لا يعزّيها غير عالمية صديقها ، وسماع شعره على الألسنة ، وقد ترك ما سيتحدث به الناس دهراً طويلاً .

من الجدارية قرأ طاهر رياض:

هذا هو اسمكَ .
قالتِ امرأة .
وغابت في الممرّ اللولبي .
أرى السماء هُناكَ في متناولِ الأيدي .

ويحملني جناحُ حمامة بيضاءَ صوبَ .
طفولة أخرى ولم أحلم بأني .
كنتُ أحلم كلَّ شيء وأقعي كُنت
أعلمُ أنني ألقي بنفسي جانبا .
وأطير سوف أكون ما سأصيرُ في .
الفلك الأخير وكلُّ شيء أبيضُ ،
البحرُ المعلَّق فوق سقف غمامة
بيضاء واللاشيء أبيضُ في .
سماء المُطلق البيضاء كُنتُ ، ولم
أكُن فأنا وحيد في نواحي هذه
الأبديّة البيضاء جئتُ قُبيَل ميعادي .
فلم يظهر ملاك واحد ليقول لي :
ماذا فعلتَ ، هناك ، في الدنيا؟ .
ولم أسمع هتَافَ الطيّبينَ ، ولا
أنينَ الخاطئينَ ، أنا وحيد في البياض ،
أنا وحيد .
لا شيء يُوجِعُني على بابِ القيامة .
لا الزمانُ ولا العواطف لا أُحِسُّ بخفَّة
الأشياء أو ثقل .

وقرأ الشاعر يوسف عبد العزيز ايضا:

أنا من هناك هُنايَ يقفزُ .
من خُطايَ إلى مُخيّلتي .

أنا من كنتُ أو سأكون .
يصنعُني ويصرعُني الفضاءُ
اللانهائيُّ .
المديد
سأصير يوماً ما أريدُ .
ومنفى يدي غيمةٌ

قرأ يوسف عبد العزيز:

أسرجوا الخيلَ .
لا يعرفون لماذا ،
ولكنهم أسرجوا الخيل في السهلِ .
. . . كان المكانُ مُعدّاً لمولده : تلّةً
من رياحين أجداده تتلفّتُ شرقاً وغرباً .
وزيتونةٌ قرب زيتونة في المصاحف تُعلي سطوح اللغة . . . .
ودخاناً من اللازورد يؤثّثُ هذا النهار لمسألةٍ .
لا تخصّ سوى الله .
آذار طفل الشهور المدلل .
آذار يولم خبيزةً لفناء الكنيسة .
آذار أرضٌ لليل السنونو ، ولامرأةٍ .
تستعدُّ لصرختها في البراري . . وتمتدُّ في .
شجر السنديان .
يولد الآن طفلٌ ،
وصرخته ،
في شقوق المكان .

ومن قرويّون من غير سوء، قرأ:

لم أكن بعد أعرف عادات أمّي ، ولا أهلها .
عندما جاءت الشاحناتُ من البحر .
لكنني كنتُ أعرف رائحة التبغ حول عباءة جدّي .
ورائحة القهوة الأبديّة ، منذ ولدتُ .
كما يولد الحيوانُ الأليف هنا .
دفعةً واحدة .

وقرأ من تعاليم حوريّة:

فكّرتُ يوماً بالرحيل ، فحطّ حسّونٌ على
يدها ونامَ .
وكان يكفي أن أداعبَ غصن
دالية على عجلٍ .
لتدركَ أنّ كأس نبيذيَ امتلأت .
ويكفي أن أنام مبكّراً لترى
منامي واضحاً ، فتطيل ليلتها لتحرسهُ .
ويكفي أن تجيء رسالةٌ مني لتعرف أنّ
عنواني تغيّر ، فوق قارعة السجونِ ،
وأنّ أيّامي تُحوّمُ حولها . . وحيالها .

وختم زهير أبو شايب بلاعب النرد، آخر قصائد درويش:

مَنْ أَنا لأقول لكمْ .
ما أَقول لكمْ ؟ .

وأَنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ .
فأصبح وجهاً ولا قَصَباً ثقَبتْهُ الرياحُ .
فأصبح نايا . . . .
أَنا لاعب النَرْدِ ،
أَربح حيناً وأَخسر حينا .
أَنا مثلكمْ أَو أَقلُّ قليلاً . . . .
وُلدتُ إلى جانب البئر
والشجراتِ الثلاثِ الوحيدات كالراهباتْ .
وُلدتُ بلا زَفّةٍ وبلا قابلةْ وسُمِّيتُ باسمي مُصَادَفَةً ، أَنا بذرة من بذورك خضراء . . .

إحدى وعشرون وردة لعاشق فلسطين

علي البتيري

وكتب الشاعر على البتيري قصيدة رثاء بدرويش من واحد وعشرين مقطعا نقتطف منها :

(١)

يا صبايا فلسطينَ هل مَرّ عاشقُها
من هُنا . .؟
وهل ماتَ شوقاً إليها
فمال على قلبها بورد الجراح
وقبلَّ وجنتها وانحنى؟

(٢)

وورودٌ ثلاثٌ بقلبي أَنا . .

وردةٌ لوداعِ الشهيدْ
وردةٌ لعزاءٍ الفقيدْ ،
وأخرى مبللةٌ بدموع القصيدْ

(٣)

أَلَسْتَ معي يا صديقي
بأن ظلامَ المنافي البعيدة
يُشبهُ آخرُهُ أولّه؟
وأنَّ خُطى السّعي نحوَ ملاعب أحلامنا
لم تعُدْ هَرْولة؟

(٤)

أيها المرتدي موتك الآن
مثل عباءة . .
أيّها العابرُ الآن من قبو أحزاننا
وفينا يجر رداءه . .
ستبقى على الباب روحكَ
توقظ فينا دماً لاقتحام الظلام
ودماً مثله للإضاءة .

(٥)

فقدناكَ؟
لا . . أيُّها المعتلي في أسانا جوادكْ
تجوّلْ بكل قلوب محبيكَ
أجّلْ رُقادَكْ . .
وفي أعين الصابرين تأمّل بلادكْ

تجد أنكَ الآنَ حي
بكل الجبال وكل الحقول
وكل القلوبْ . .
وكل القلوبْ . .
وأنّكَ رغم الرحيل المقدّر
فارسُ هذي الدروبِّ .

الفصل الثالث

درويش في الفضاء العربي
من المغرب إلى البحرين

من المغرب الى البحرين

كما ودعت فلسطين وودعت عمان الشاعر درويش ، كذلك امتدت تداعيات وتأثيرات الموت المفاجىء لدرويش إلى الفضاء العربي ، من المغرب الى البحرين ، ليتداعى أصدقاء المرحوم وكبار الأدباء والشعراء العرب إلى الذكرى والذاكرة وإلى التأبين والرثاء .

أدباء البحرين ينظمون وقفة تأبين للراحل محمود درويش

في البحرين أقام الملتقى الثقافي الأهلي وقفة تأبين بمناسبة رحيل الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش ، بمشاركة شعراء ومثقفين بحرينيين وبحضور حشد كبير من محبي الراحل .

واشتمل الاحتفال على إشعال ٦٧ شمعة -في إشارة إلى عمر الراحل- وضعت على شكل الرقم نفسه ، وألقيت شهادات لأقران درويش في المملكة ، إضافة إلى كلمات في رثاء الفقيد ، كما تلا الشاعر علي الجلاوي مختارات من قصائده .

علي خليفة

ووصف رئيس الملتقى الثقافي الشاعر علي عبد الله خليفة ، الراحل ، بأنه شاعر الجيل وشاعر قضية كتب لها أن تكون قضية العرب الأولى ، قائلا إنه صاحب اقتدار شعري ولغوي .

كما أشار خليفة إلى أنه «رمز للتواضع والعفوية وسيظل علامة مؤثرة في تاريخنا الشعري» .

من جهته ألقى الناقد فهد حسين نائب رئيس أسرة الأدباء والكتاب البحرينيين كلمة قال فيها : «إن محمود درويش فارقنا بإنذار شفوي ولم ينتظر احتفالات القدس عاصمة للثقافة العربية العام القادم» ، مضيفا : «أنه ولد في أرض لا تلد إلا الزيتون وطفل الحجارة» .

سلمان زيمان

أما الفنان البحريني سلمان زيمان فتساءل عما إذا كان شعر درويش مقاومة أم أنه هو المقاوم ، وقال : «إن شعره وكلماته كانا تربة وغضبا وحجرا وثورة» ، معتبرا «أن كل ما كتبه دوريش غناء وأن شعره لم يكن وسط الميزان حائرا» .

محمد النويري

وشارك في حفل العزاء الذي حضرته بعض الجاليات العربية في المملكة الناقد التونسي د . محمد النويري بمداخلة حول علاقة دوريش بدول المغرب العربي .

وقال النويري : «إن اسم درويش يشد آلاف الناس في المغرب العربي لسماع كلماته وشعره» . واستعار في كلمته وصف بعض كبار الشعراء

لسماع كلماته وشعره» . واستعار في كلمته وصف بعض كبار الشعراء لدرويش بالقول : «إنه شاعر لا يموت وعاشق لا يموت وقضية لن تموت» .

نشيد الاستقلال

أما الجالية الفلسطينية بالبحرين فقال ممثلهم رامي محمود : «إن درويش كتب نص الاستقلال» ، مضيفا : «من سيكتب نشيد الانتصار بعدك يا محمود فلتعتذر عن هذا الرحيل المبكر» .

وأوضح محمود «أن درويش لم يكن شاعرا فحسب بل تنبأ بالاجتياح الإسرائيلي لبيروت» ، وسخر ممن اتهمه بشاعر البلاط قائلا : «أنا وياسر عرفات ليس لنا بلاط بل لنا خيمة» .

ولفت إلى أن درويش لم يستسغ اتفاقية أوسلو لكنه قال : «عاد لنا وطن وبعض سلطة وخرج الاحتلال من غرفة النوم وجلس في الصالون» ، وقدم ممثل الجالية الفلسطينية اعتذارا لدرويش بالقول : «إننا نعتذر لك يا درويش لأننا سببنا لك ألما عندما صحوت يوما ووجدت علما بلون واحد يهزم علما بأربعة ألوان» .

وكان محمود دويش قد زار البحرين للمرة الأولى للمشاركة في مهرجان ربيع الثقافة البحريني في مارس/ آذار ٢٠٠٦ .

(الجزيرة نت- ٢٠٠٨/٨/١٤)

أيقظ حصانك

ومن البحرين أيضا كانت هذه القصيدة الرثائية
للشاعر البحريني قاسم حداد وهي بعنوان :

أيقظ حصانك

قاسم حداد

١

ثمة حكاية تقول إن الفنان «فان غوخ» ذهب لرؤية المرأة التي أحبها – وهي قريبة له– لكن والدها رفض ذلك ، فخرج إلى المقهى القريب ووضع كفه مبسوطة فوق لهب الشمعة ، طالباً أن يراها بقدر المدة التي يتحمل فيها لهب الشمعة . وراح ينتظر أن يسمعه أحد . لكن أحدا لم يكترث له .

واصل «فان غوخ» ترك كفه في مكانها ، لتمر الدقائق وتنبعث رائحة جلد باطن كفه المحترق مثل ورد يابسٍ في الجمر .

لكنه لم يحرك كفه .

فصرخت فيه امرأة في المقهى :

– ماذا تفعل يا مجنون؟

فقال لها «فان غوخ» :

- لكي تعلم أنني أحبها إلى هذا الحد ، وتدركون أنني أستحقها أكثر من هذا .

٢

كم واحدٍ منا كان مستعداً أن يضع يده فوق ذلك اللهب ، في سبيل أن يمنح محمودُ درويش فسحة أكبر من الحياة ،
لو كان هذا ممكناً ، ومتاحاً ، وذا جدوى؟

٣

أظن أن ثمة ما لا يحصون كانوا على استعداد لفعل ذلك ،
رجاة أن يصدّوا الموت عن الشاعر .

هكذا ،
ببساطة ، أحب أن أرى الحب ، عندما يتعلق الأمر بالتعبير عنه ،
وتحويله إلى فعل حياة .
فالشعر ، خصوصاً ، هو فعل حب خالص .
منذ زمن طويل ، تعلمت من الصديق «أمين صالح» ، درساً بليغاً في الحب . قال لي : ليس كافياً أن تحب شخصاً ، تحبه فحسب ، لابد أن تقول له إنك تحبه ، يجب أن يعرف ذلك ، يسمعه منك ويشعر به فعلياً .

٤

إلى أي حد كان محمود درويش بحاجة لأن يعرف ذلك الحب ، أن يسمعه ويشعر به ، ويلمسه ، فربما ساعده ذلك على أن يتفادى موتاً هدده

ثلاث مرات ، وعاشه مرتين ، وكان أوشك أن ينال منه ،
وأصبح ، أخيراً ، أشد من القتل .
أعرف أن قسماً كبيراً من هذا الحب كان قد وصل إلى الشاعر ،
لكن الأمر كان أبعد من طاقة البشر على العمل والتصديق .

٥

بالنسبة لي ،
كنت سأترك كفي هناك ،
وعلى أكثر تقدير ، كنت سأنساها فوق لهب الشمعة ،
وأعرف أن عدداً لا يحصى سوف يفعلون مثلي وأكثر .
فقد قال الشاعر : (ليتني شمعة في الظلام) .
وكنا ظلاماً حالكاً ، إلى هذا الحد .

٦

لم يكن ذلك الموت موتاً لمحمود درويش وحده .
لقد مات شيءٌ ، في كثيرين منا ، مع الشاعر .
وأخشى أنه موتٌ شديدٌ ،
لفرط الغدر الذي انطوى عليه .

٧

لقد كنت أقرأ (مثل نملة) ، حسب تعبير محمود نفسه ، مئات الكلمات والمقالات التي نشرت في وفاة الشاعر ، وكنت أشعر فعلاً أن في تلك المقالات حباً صادقاً وعميقاً وحقيقياً . خصوصاً بعد تخليص بعض

تلك المقالات من سياقاتها الصحافية والرسمية والخطابية ، سيظل ثمة حبٌ متفجرٌ عفوي في صميم تلك النصوص ، حب تيسر لموت الشاعر أن يكشفه في لحظة غيابٍ صاعقة ، يكشفه لكثيرين من أصحاب تلك النصوص بالذات ، لكي يتأكدوا ، ربما لأول مرة ، كم أنهم ينطوون على طاقة حب تستحق العناية والتأمل والتشغيل في آلية حياتنا .

كنت أرى وأشعر في هذه النصوص تلك الطاقة التي لا يحتاج الكائن الإنساني لغيرها ، ولا يحتاج الشاعر لأقل منها ، كي يواصل الحياة ، فما بالك إذا كان الشاعر مشحوناً بعنفوان العواطف مثل محمود درويش .

٨

يقيناً ، ثمة ما لا يحصون ، من أصحاب هذه النصوص ، وغيرهم أكثر ، كانوا على استعداد لأن يتركوا أياديهم هناك ، فوق لهب الشمعة الأحمر الذهبي بذبالته الزرقاء ، من أجل أن يظل محمود درويش حياً .

٩

هكذا
ببساطة لابد أن يكون الحب ،
مشاعر قادرة على التحقق في موقف فعال .
موقف حقيقي على أهبة الاستعداد لفعل الحب . . إلى هذا الحد .

١٠

لشد ما منحني ، هذا كله ، طاقة لمعالجة روحي المعصوفة جرّاء الفقد

الصاعق ، فقد شعرت بسر هذا القدر الغامر من الحب للشاعر في العالم .

والحق أن اطمئناناً غامضاً قد انتابني لحقيقة أن يحظى شاعرٌ عربيّ واحد على الأقل بهذا الحب الجارف .

حبٌ مأخوذٌ بمحمود درويش الشاعر والإنسان ، في واحدة من أقسى لحظات الكائن البشري المحاصر المرصود بكل ما هو سلبي ويائس وبلا أمل منظور .

حبٌ ، هو في العمق ، الأهم والأكثر حيوية وجوهرية ، بل إن شعراً حقيقياً لن يتسنى له الوجود بدون طاقة الحب هذه .

وظني أن الشاعر سوف يعنيه كثيراً الحب قبل الشعر وبعده ، وليس ثمة شرط فنيّ لكي تحب الشاعر ، الأهم أن تحب الشاعر كإنسان يحمل عبئه الكوني ببسالة نادرة ،

فالشعر ليس سبباً للحب لكنه نتيجة له .

حيث الشعر ليس وسيلة لكنه غاية .

تلك هي حقيقة الشاعر ،

وذلك هو سره الغامض الذي يستعصي على الوصف والتفسير .

١١

في حياتنا ،

يكتب الشاعر شعره لأنه في الحب ،

وإلا ماذا يعني شعرٌ لا يصدر عن حب ويذهب إليه .

كان محمود درويش يدربنا على تربية الأمل بالحب .

١٢

لقد استطاع محمود درويش أن يمنح طاقة الأمل في الحب لما لا يحصى من القلوب في العالم . وهي القلوب ذاتها التي أصيبت ، في شغافها ، لفقده . تلك القلوب ذاتها ، التي نشعر بعطر حبها يتصاعد غامراً وهي تثبت أكفَّها فوق اللهب الأزرق ، رجاة أن يشفع ذلك لحبها ، لأن يظل محمود درويش في الحياة وقتاً أكثر .

غير أن هذا لم يكن ممكناً ، ولا مجدياً ، وليس لنا طاقة على اجتراحه ، إلا في صورة فعل الحب والأمل اللذين اقترحهما محمود درويش على درس حياتنا طوال الوقت .

١٣

أيقظْ حصانك
لستَ في موت
ولسنا في الحياة .

شهادات كتّاب إماراتيين
في غياب درويش

زار المرحوم درويش الإمارت مرة ، وأحيا فيها عدداً من الأمسيات الشعرية ، إضافة إلى فوزه في واحدة من جوائز سلطان العويس الثقافية . ويشكل رحيل درويش خسارة أدبية كبيرة على الصعيدين الثقافي والفني لما يشكّله من وزن شعري مؤثر في الأجيال والتجارب الشعرية العربية الجديدة ، التي ظهرت خلال حضوره البارز في النصف الثاني من القرن العشرين .

حبيب غلوم

الدكتور حبيب غلوم مدير الأنشطة الثقافية والمجتمعية في وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع قال :

محمود درويش يرحل عنا ، وفي قلوبنا حزن كبير ، وفي ذاكرتنا كم عظيم من العطاء الشعري الممتد لأكثر من نصف قرن ، من ستينات القرن الماضي إلى بدايات هذا القرن ، يمتد إرث درويش الشاعر والإنسان ، ليشع في فضاءات الشعر العربي كنجمة صبح سيهتدي بها حتماً أجيال الشعراء الآتين ، ورثة حنينه إلى خبز أمه وأمنا جميعاً فلسطين ، وحفظة

تراثه الشعري والفكري ، وشركائه في حب الأرض .

محمود درويش ينتقل إلى رحمة الله ، ويورثنا كماً من الشعر لا يبدأ بـ«عصافير بلا أجنحة» (١٩٦٠) ، ولا ينتهي ب . . . «أثر الفراشة» عام ٢٠٠٨ ، بل يبدأ الآن ليستحق منا التكريم الذي يليق به ، والمستقبل الذي يبُنى عليه ولأجله ، والحياة التي تبدأ بمفردات نصه الشعري التي لم تعترف يوماً بالقيد والسجن والعتمة والذل والخنوع ، بل ظلت تحارب لأجل بقاء الكلمة نقيةً نديةً كإشراقة فجر لوجوه الباحثين عن الحق والحقيقة ، والجمال والنور .

حارب الظاهري

وأعرب حارب الظاهري رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات عن حزنه برحيل محمود درويش ، الذي كان يمثل الصوت الحقيقي والمؤثر للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي والعنصرية التي تمارس على شعبه الفلسطيني في الأرض المحتلة ، فقال : التقيت معه شخصياً لمرة واحدة أثناء وجوده في المجمع الثقافي في أبوظبي ، وكعادته كان عربياً في تفكيره ووجدانه ، تحدث معنا عن أهمية دور الشعر والأدب والفنون في القضية الفلسطينية ، وأشاد بمواقف الأدباء والشعراء العرب نحو القضية العربية الأولى وهي فلسطين ، والتي يجب أن تحظى دائماً بهذه الأولوية .

ويضيف : محمود درويش ظل طوال مسيرته الشعرية يمثل هويتنا كفلسطينيين وعرب ، كما أنه يمثل ضميرنا كأمة ، وهو ما نصبو إليه نحن في اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ، من خلال دعم ورعاية الكتابات الأدبية التي تنتمي في مضامينها لقضايا أمتنا ، ولأننا أساساً مثل أي اتحاد كتاب نقف دائماً ضد العنصرية والاحتلال في كل أشكالهما القديمة المباشرة

والجديدة المتوارية تحت أقنعة الشعارات البراقة وغير المجدية .

إسماعيل عبدالله

ويقول إسماعيل عبدالله رئيس جمعية المسرحيين في الإمارات عن لقاءاته المتعددة مع محمود درويش : التقيته عدة مرات ، الأولى على هامش الاجتماع الوطني الفلسطيني في الجزائر ، حيث ألقى الخطاب الأول لتأسيس الدولة الفلسطينية ، ومن ثم أجريت معه ذلك اللقاء الشهير لتلفزيون أبوظبي حول إعلان الدولة الفلسطينية ، وأتذكر وقتها أنني ألقيت أمامه قصيدته الشهيرة «بيروت» ، وهي القصيدة التي أثرت بي كإنسان عربي وككاتب أيضاً ، بل إنها أعادت تكويني فلسطينياً مرة أخرى ، وللحقيقة أقولها نيابة عن أبناء جيلي ، إننا نحن العرب في الخليج أصبحنا فلسطينيين عبر شعر وقصائد محمود درويش أولاً وقبل أن نتفهم الأبعاد السياسية للقضية الفلسطينية .

(الخليج - الأربعاء ٢٠٠٨/٨/١٣)

أبو ظبي تؤبن محمود درويش

وتقديرا لمكانة الشاعر العربي الكبير الراحل محمود درويش ، وتعبيرا عن الحب الكبير الذي تحمله له دولة الإمارات العربية المتحدة ، نظمت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث أمسية تأبينية بمشاركة الشعراء الخمسة الأوائل في البرنامج الإبداعي «أمير الشعراء» ، إضافة إلى كوكبة من الشعراء والأدباء المتميزين الإماراتيين والعرب ، وذلك في قاعة ابن ماجد بالمجمع الثقافي بأبوظبي .

الشاعر أحمد منصور

وفي بداية الأمسية سرد الشاعر الإماراتي أحمد منصور قسوة الغياب التي رافقت رحيل محمود درويش قائلا : «لقد فاجأنا الشاعر محمود درويش (كما فجعنا) حينما قرر أن يغامر ويموت في تلك اللحظة تحديدا ، لقد تردد كثيرا قبل أن يتخذ القرار الحاسم بموته ، ليس حبا في الموت ، بل لأن الحياة لم تعد تستأهل العيش ، وكانت مغريات الدخول في عالم الموت المذهل أشد من أن تقاوم بالنسبة إليه . لقد تردد مرارا على عتبة الموت ، لكنه لم يجتزها ، وحاول مرارا إغراء الموت باجتيازها ، تارة بالسجائر ، وتارة أخرى باستفزازه عن طريق الأسئلة على نحو قاس : فقد علق على طرف الخيط قصائد شتى ليطرق ذلك القاتل قلبه ، إلا أن ذلك الجهم المريب ، لم يشأ أن يجتاز العتبة هو الآخر في لعبة التجاذبات تلك ، فهو ليس كما نظن قدراً يعبر هكذا مغمض العينين .

أحمد العسم

ويرى الشاعر الإماراتي أحمد العسم : إن الحياة تزخر بأشياء لا نلتفت إليها جيداً ، إلا أن الموت يعير انتباهنا إليها ويحرضنا على ديمومة الاستيقاظ من غفوتنا الطويلة المدى ويضيف العسم : «موت الشاعر محمود درويش هو الألم المضاف إلى الألم الآخر الذي يعيشه الشاعر من هموم وطنية وإنسانية وحياتية . . و«موت الشاعر» هو انكسار لكل شيء جميل رآه الشاعر ، ومحمود درويش هو من هؤلاء الشعراء الذين سيتركون فراغاً كبيراً من الصعب تعويضه . . فمحمود درويش الذي دلنا على العميق والمختلف في هذه الحياة ، هو أيضاً الذي أشار علينا بأن لا نهمل ما لا نراه فيها وفينا » .

الناقد أحمد درويش

وقال الناقد د . أحمد درويش ، عميد كلية دار العلوم الأسبق ومقرر لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى المصري للثقافة ، إن محمود درويش أكبر شاعر عربي على الساحة الشعرية الآن ، فضلا عن أنه واحد من كبار شعراء الإنسانية وتميز بالنفس الطويل ، فقد استمر في الإبداع لأكثر من أربعة عقود متصلة ، وهو في ذلك يختلف عن كثيرين يتوقفون في منتصف الطريق لبعض الوقت أو يتوقفون نهائيا ، لأسباب تخصهم ، لكن درويش ظل موهبة متجددة ويزداد عمقا بعد كل قصيدة ، وبالإضافة إلى ذلك فقد حافظ على غنائية القصيدة وحافظ على معادلة غاية في الصعوبة ، تتمثل في قدرته على اجتذاب الجمهور الواسع الى الشعر ، دون أن يعني ذلك الخفة ، أو عدم التجديد فنيا .

الروائي خيري شلبي

وقال الروائي خيري شلبي إن أهم ما يميز درويش وشعره هو وضوح الأصول والانتساب العروبي فشعره عربي خالص وهو التطور الأمثل للشعر العربي كله ، فيه النابغة والمتنبي وأبو تمام والبحتري وحافظ وشوقي ومطران ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم ، كل هؤلاء نجدهم في أشعار درويش وصوته ملكه وحده وخاص به لا يشبه أحدا قبله ، فقد هضم السابقين عليه بالإضافة إلى ثقافته المعاصرة وخبراته الإنسانية الواسعة .

محمد سلماوي

وقال الكاتب محمد سلماوي رئيس اتحاد الكتاب المصريين وأمين عام

اتحاد الكتاب العرب أن محمود درويش يحتل مكانة فريدة في الشعر العربي ، لأنه هو وتوأمه سميح القاسم أول من أعطى صوتا لجيل النكبة وعبر عنه شعرا ، ودرويش كان نقطة فاصلة بين الشعر التقليدي القديم في فلسطين والشعر الجديد الذي جاء محملا بمعاناة النكبة ، وهذا استدعى شكلا فنيا جديدا ، فأدخل التجديد على الشعر الفلسطيني وهذه المكانة لن يحتلها أحد غير درويش .

الشاعرة فاطمة الزهراء

وقالت الشاعرة المغربية فاطمة الزهراء التي شاركت في الأمسية : ما إن عكّرَ مسمعي خبر وفاة شاعرنا العظيم محمود درويش حتى عصفَ بي ألم عميق وماجت وجداني متدفّقة دموعا مالحة هائمة في حسرة مفعمة بتساؤلات لا أجوبة لها : كيف استطاع الموت أن يهزمَ المنتصرَ دوما على الموت؟ كيف استطاع الظلام أن يقبض على النور؟ كيف تعبَتْ عصافير الجليل حتى رضخت للأرض؟ كيف واجه أثرُ الفراشة قسوة الريح ؟ كيف غاب الحاضرُ عن حضرة الغياب؟ .

الشاعر أحمد السلامي

وقال الشاعر اليمني أحمد السلامي : احتكر درويش جمهور الشعر وهيمن على ذائقة أجيال عديدة ، لكنه منذ استضافته لروح قصيدة النثر في كتبه الشعرية الأخيرة فتح أمام جمهوره نوافذ عديدة للتلقي ، وسمح لضوء الكلمات والمعاني الجديدة بدخول بهو قصيدته ، حتى صارت أشبه ما تكون بقصيدة نثر موزونة .

الشاعر محمود الرحبي

وقال الشاعر العماني محمود الرحبي : حين استقبلنا خبر موته في مسقط ، كانت نداءات الـ (أس .أم .أس) لم تتوقف ، تموج وتبرق من أقاصي صلالة حتى أطراف الربع الخالي ، مندهشة مستكينة ومعزية وحائرة . ربما لأن رمزية محمود درويش وأسطورته ترفضان فكرة الفناء الطبيعي بهذه الغفلة والسهولة . هذا الشاعر الذي استوطن الذاكرة وأحدث فيها نقلة واضحة على مستوى الذائقة الشعرية ، والذي كذلك صعّد بقصائده الجرح الفلسطيني إلى مقام المأساة الإنسانية الكبرى .

(الدستور الأردنية-٢٣/٨/٢٠٠٨)

المغرب - نخبة من المثقفين العرب
تؤبن درويش في أصيلة

ونظم منتدى أصيلة في المغرب العربي حفلا تأبينيا للشاعر العربي الكبير الراحل محمود درويش ، بحضور نخبة من الكتاب والنقاد والمبدعين المغاربة والعرب ، وقدمت في الحفل التأبيني شهادات في محمود درويش ركزت على قيمته الشعرية والإنسانية ورمزيته النضالية ، وترأسها محمد بن عيسى أمين عام منتدى أصيلة ، حيث تلا خلاله رسالة كان قد وجهها إلى درويش في شهر تموز/٢٠٠٨ يدعوه فيها إلى الحضور لموسم أصيلة ضيفا ، من أجل التنسيق لندوة دولية مهمة حول تجربة درويش الشعرية تقام في موسم أصيلة في العام القادم ، وقال ابن عيسى لقد سبق القدر كل تدبير .

عبد السلام المسدي

وقال الناقد التونسي عبد السلام المسدي إن رحيل محمود درويش خسارة للشعر العربي ، فهو الذي وهب حياته من أجل الشعر وللشعر ،

ومن أجل قضايا أمته العربية ، ووصفه بشاعر الإنسانية الكبير وبالصديق العزيز ، وقال : «تلقيت الخبر الفاجع بتأثر كبير ، وأضاف أنه إذا كان الموت ينتصر على الإرادات القوية فإنه لن يؤجل التمنيات الصادقة» .

محمد بن عيسى

من جهته قال محمد بن عيسى : «إن أصيلة كانت تفكر في إقامة حدث ثقافي كبير باستضافته ، وإنه كان من المنتظر أن يحل في أصيلة يوم ١١ أغسطس/ آب ، وإنه أبدى موافقته على القدوم إلى المهرجان ، من أجل التنسيق لإقامة احتفالية كبيرة له العام المقبل ، لكن الموت لم يترك لنا الفرصة كي نتشرف بهذا الحضور الكبير للشاعر .

سليمان العسكري

وقال سليمان العسكري رئيس تحرير مجلة «العربي» الكويتية الذي حضر إلى ملتقى أصيلة للمشاركة في ندوة «الإعلام العربي والتحديات» إنه رغم الغياب الجسدي لدرويش ، فإن الشاعر سيستمر لوقت طويل في الوجود كتجربة شعرية فائقة ، مادامت أرضه فلسطين لم تتحرر وما دام الحق العربي مهضوما ، وتحدث العسكري عن علاقته بدرويش التي تعود إلى أيام الدراسة في القاهرة ، حينما كان درويش يكتب في «المصور» ، وذكر عنوان مقاله الساخر «هل تسمحون لي بالزواج؟» ، مشيرا إلى الطابع الساخر الذي ميز الأعمال الشعرية لدرويش .

صلاح فضل

وقال الدكتور صلاح فضل في الكلمة التأبينية التي ألقاها في الحفل :

«إن محمود درويش طفل جميل استطاع منذ مطلع شبابه أن يصبح أسطورة ورمزا ، كما استطاع أن يجسد طريقا فريدا في الشعرية العربية ، لقد كان يحمل طاقة تحويل الكلمات العادية إلى كلمات تحترق بالدلالة ، ورافق شعره وعي مذهل ، واختار من بين رموزه الشعرية المتنبي ونزار قباني ، ومنذ قصيدة «سجل أنا عربي» سجل الطلقة الفلسطينية الأولى الحرة .

وتحدث الشاعر والروائي المغربي أحمد المديني في كلمته عن القوة التي تتحلى بها قصيدة محمود درويش ، تلك القوة التي صاغها المديني على شكل تعريفات للشعر وللقصيدة الحقيقية .

الشاعر العماني الرحبي

وعبر الشاعر العماني سيف الرحبي ورئيس تحرير مجلة «نزوى» عن هول الفقدان ، مسلطا الضوء على جوانب حياتية وشعرية وإنسانية كان يتحلى بها الراحل ، وأيضا على صداقاته الحميمية ، وقال الرحبي إن درويش من أكبر شعراء التاريخ الإنساني على الإطلاق ، وإنه استطاع أن يوفق بين القضية وبين الأبعاد الوجودية التي انتمى إليها الشاعر .

عبد الرحيم علام

وتوقف الناقد المغربي عبد الرحيم العلام عند المكانة الخاصة التي يحتلها درويش في وجدان الأصدقاء والأحباء وعموم قرائه في الوطن العربي ، واعتبر أن جبل درويش لم يهو ولم تصبه الخيبة وأنه سيظل على الدوام شامخا ، لأنه انفلت من شرنقة النموذج كما قال العلام .

محمد الشوش

الكاتب السوداني محمد إبراهيم الشوش قال : «إن درويش كان ظاهرة شعرية وصوت أمة» ، وأضاف : «بأنه لما مات درويش ماتت الكلمات وتوقف العالم» .

إكرام عبدي

كما تحدثت الشاعرة المغربية «إكرام عبدي» عن علاقتها الخاصة بشعر درويش وعن ما تعلمته منه باعتبارها شاعرة شابة ، معبرة عن أسفها لهذا الفقد الكبير .

حسونة المصباحي

وركز الكاتب والروائي التونسي حسونة المصباحي على «أن محمود درويش ينتمي إلى القائمة الذهبية لشعراء البشرية ، تلك القائمة التي تضمه إلى الشعراء العظام الذين عبروا التاريخ البشري» . وقال حسونة : «إن درويش درسته المنافي واستطاع أن يكون تجربة شعرية كبيرة ، تبلورت على وجه الخصوص في مرحلة باريس ، وظل من خلالها محافظا على استقلاله الفكري» .

صمويل شمعون

بينما تحدث الشاعر العراقي صمويل شمعون عن لقاءاته المتقطعة مع محمود درويش في مرحلة بيروت وفي مرحلة باريس بعد ذلك ، كما استعرض بعض تفاصيل هذه اللقاءات ، التي ترسم صورة عن الإنسان وعن الرجل .

المهدي أخريف ومبارك ربيع

وأشار الشاعر المغربي المهدي أخريف إلى «أن علاقته الأولى مع درويش بدأت في ١٩٧٩ ثم تطورت إلى علاقة صداقة متقطعة لكنها وطيدة» ، وتوقف على ملامح السخرية في قصيدة درويش وبالأخص تلك التي كتبها في السنوات الأخيرة ، وختم مبارك ربيع الروائي المغربي الأمسية التأبينية بالإشارة إلى أن درويش هو صاحب صوت شعري حاسم ضد الاستبداد حتى ولو كان هذا الاستبداد تقدميا .

(الخليج - ٢٠٠٨/٠٨/١٣)

ثقافية الشارقة تنظم برنامجاً لتكريم درويش وترصد جائزة باسمه

وفي الشارقة - أقرت دائرة الثقافة والإعلام في حكومة الشارقة برنامجاً ثقافياً لتكريم الشاعر الراحل محمود درويش ، ويتمثل التكريم بفعاليات عدة وهي : إصدار بيان ثقافي يتضمن رؤية الدائرة للشاعر الراحل وعطائه الإبداعي الإنساني ، وتنظيم حفل تأبين يشارك فيه مبدعون من الإمارات والعرب المقيمون على أرضها الطيبة ، وتكريس فعاليات ملتقى الشارقة للشعر العربي المقبل بدورته السابعة لتكريم الشاعر الراحل محمود درويش ، حيث تتم دعوة كبار الشعراء العرب وبعض الشعراء الأجانب من أصدقاء الراحل للمشاركة في الملتقى الشعري الذي ينظمه «بيت الشعر» في الدائرة ، وإطلاق مسابقة شعرية لإكمال قصيدة «سيناريو جاهز» للشعراء العرب من دون سن ٣٥ ، على أن يمنح الشاعر الفائز جائزة مادية ومعنوية ضمن فعاليات ملتقى الشعر .

وحول البرنامج قال عبدالله بن محمد العويس مدير عام دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة : «لقد فقدت الساحة الثقافية العالمية برحيل محمود درويش أحد أكبر أعمدتها الذي أحبته الشارقة واحتضنته ضيفاً عزيزاً في مناسبات عدة ، ومناسبات خاصة أحياناً ، كما أحب الفقيد الشارقة وخصها في هذا الحب بصداقاته لكوكبة من أبنائها في مواقع مختلفة ، لذا من منطلق الوفاء لهذا المبدع الكبير صاحب القضية التي تحولت الى جامع

ثقافي إنساني عالمي آثرنا تنظيم هذه الفعاليات» ، وتمنى العويس على أحباء محمود درويش في الإمارات وخارجها ، خاصة من المبدعين والواعدين ، استمرارهم على النهج الإبداعي نفسه وأن تتضافر جهودهم مع جهودنا كوفاء مشترك وجامع للإنسان والمبدع الكبير الفقيد محمود درويش رحمه الله .

(الخليج/١٥/٠٨/٢٠٠٨)

درويش في عيون شعراء
ونقاد سعوديين

سجلت «ثقافة اليوم» في «أدبيات» دهشة النخب الشعرية والثقافية وانطباعاتها بهذه الصدمة التي تمثلت في رحيل الشاعر الفلسطيني محمود درويش ، فكانت هذه العبرات :

الشاعر فيصل أكرم

يتساءل الشاعر فيصل اكرم عن حال الشعر بعد رحيل درويش فيقول :
(لأن موتاً طائشاً ضل الطريق إليك . .)

هو حزن كبير يصطدم بقلب كل عربي يعرف قدر الشعر والشعراء . . حزن يدك قلوب الشعراء العرب جميعاً ، على شاعرهم الأكبر والأشهر والأكثر أصالة وتطوراً . .

محمود درويش لم يكن شاعراً يحمل الرقم (١) في قائمة الشعراء العرب فحسب ، بل كان الممسك بلواء الشعر العربي في عصرنا الحديث ، وهو جزء من كل شاعر عربي في عصرنا .

الشاعر محمد إبراهيم يعقوب:

ويقول الشاعر محمد إبراهيم يعقوب : لقد فجعنا جميعاً بخبر وفاة

الشاعر الكبير محمود درويش ، إن موت شاعر يقلل من منسوب الجمال في الحياة ، إن درويش لم يكن قامة شعرية متفردة فحسب ، بل كان رمزاً إنسانياً وكان شعره يتلمس حالة الكون في كل لحظة .

عبدالله باقازي

الناقد والأكاديمي عبدالله باقازي وصف تجربة درويش بظاهرة شعرية ، لكونه شكلها بتميز ضمن نسيج الشعر العربي بعامة ، والشعر الحديث بخاصة ، واستطاع بموهبته الشعرية النادرة ، أن يرسم ببراعة لهذه الظاهرة ، لقد أتى درويش في ما بعد النصف من القرن العشرين ، وتجاوز العديد من الشعراء الذين سبقوه أو جايلوه ، وانطلاقاً من المبدأ الفني الصانع للشاعر الحقيقي : «الشاعر من تجد عنده ما لا تجده عند غيره» ، ويواصل باقازي قائلاً : جاء محمود درويش بالجديد في التشكيل والمضمون حتى عُد أفضل شاعر في الثلث الأخير من القرن العشرين ، وبذا رسم لنفسه مكانة في خارطة الشعر العربي الحديث ، وكانت القضية الفلسطينية هاجسه الأكبر ، وكان التشكيل المتجدد همه الأول حتى إنه ليصعب رسم قاموس شعري محدد له ، إذ إن قصائده لا تشبه أي واحدة منها الأخرى بخلاف شاعر مثل نزار قباني قال قصيدة واحدة ومضى يكررها في مساره العام الشعري .

عبدالله الفيفي

الشاعر والناقد الدكتور عبدالله الفيفي وصف تجربة درويش بأنها مدرسة مهمة في تاريخ الشعر العربي ، ولعل من أبرز ميزاته أن الجماهيرية التي حظي بها لم تجرفه غالباً إلى التنازل عن لغة القصيدة وطموحاتها

العليا إرضاء للمتلقي ، وذلك ما وقع في غيره .

ويضيف الدكتور الفيفي حول وفاء محمود درويش لذاكرته الموسيقية فيقول : وعلى الرغم من تقبل درويش لتجربة قصيدة النثر - بوصفها شعراً - وخوضه في التنظير الخطابي لمفهوم «الشعرية» ، كما يتضح من كلمته البيانية في الذكرى الأربعين لرحيل محمد الماغوط في دمشق ٢٠٠٦ ، فقد ظل أميناً لذاكرته الموسيقية الشعرية ، ومع هذا فإن المتتبع لتجربة درويش سيلحظ أنه - بعد مشواره الطويل من القصيدة البيتية ، إلى شعر التفعيلة ، مروراً بما أسميته لديه ولدى غيره ب «شعر التفعيلات» ، حيث المزج بين بعض الأنساق التفعيلية المتجاورة في دوائر العروض العربي - قد سار في أعماله الأخيرة إلى تنثير اللغة الشعرية ، مثلما كان قد أخذ في أعماله الأخيرة يعتمد على شعرية المواقف ، لا شعرية اللغة .

إبراهيم الوافي

ويختتم الشاعر إبراهيم الوافي هذه الكلمات بعد أن صعقه خبر رحيل محمود درويش فقال :

كانت شاشة التلفاز صاعقة . . والخبر رعد التواريخ . .

لقد رحل درويش فضاعت عناوين القصائد . . هكذا كان الصديق محمد الهويمل يقول . . فقلت

وكيف سنقرأ شعراً بعده . .

يا الله! . .

الموت هذا الغامض الكوني . . هذا الرابض الساديّ في ظلي

تقزز منه أطفال الحنين . . وعاهدته الناس في سلف القرى حزني! . .

أمر ببابه الحجريّ يدخلني إليه فلا أعود! . .

كانت رمال الله قبل مجيئه الأنهار والأشجار . .
كانت لا تقايضنا الملوحة بانهمار الماء
كنا لم نضع في معجم الأسماء تفسير الوجود! . . الموت آخره الخلود! . .
لا تغفو هذه الرؤيا في ردهة الذاكرة إلا كي أتذكرها كلما أموت . .
أو حين أحيا بعدها! . .
تماماً كما أن الموت ولادة تاريخ لا يعتني به كل من يموت قبله! . .
علينا نسيان قصائد الرثاء عندما نموت!

فعندما يرحل درويش هكذا فجأة على الأقل بالنسبة لكثير من الشعراء الذين لا يرغبون بمعرفة شيء عنه إلا ريادته ، ولا يسألون عنه إلا قصائده . . سنتوقف كثيراً أمام ما يبدو للكثيرين آخر الجمال وآخر الأصالة ، فدرويش النص المموسق . . ذاك الذي موسق الشارع ، والمدينة ، وحمامات الرواشين ، هو ذاته من نثر رؤيا الشعر على أرصفة المارة ، فاجتمعت عليه التيارات الشعرية وتنازعه الإعجاب المطلق . .

وتبرز فلسفة الموت في حديث الوافي ليقول : حتى وإن تباكى الشعراء من الفقر ، أو ترنّحت الظلال من دوخة الرقص ، ودُوار التذكر! . .

(عن موقع أدبيات على الانترنت)

شعراء مصريون: رحيل درويش..
نهاية عصر من الشعر العربي

بنبرات حزينة تكسوها الدموع خرجت كلمات الشعراء المصريين في تأبين شاعر فلسطين محمود درويش الذي وافته المنية السبت لتؤكد أن شعره ظل عابرا للزمان والمكان معا .

عبد الرحمن الأبنودي

فقال الشاعر عبد الرحمن الأبنودي للجزيرة نت إن «درويش لم يكن شاعرا عاديا ، بل هو رجل أعطى حياته كلها للقصيدة ، وعاش بها زاهدا متصوفا عن المناصب والوظائف ، وظل حالة نادرة بين الشعراء إذ لم تأته حالة الانقطاع التي عادة ما يمر بها الشعراء» .

وأضاف أن درويش لم يكن من الذين يعيشون على ماضيهم بل كان دائم التجديد في شعره وإبداعه ، وكان يتسابق مع كل حركات التجديد في الشعر العربي لذلك اعتلى قمة هذا الشعر .

وأشار الأبنودي إلى أن الشاعر الفلسطيني الراحل لم ينزلق إلى مدراس الغموض والعنكبوتية في الكتابة ، وإنما كان شعره واضحا بلا مباشرة ، لأنه كان يحمل في ضميره دائما قضية الشعب الفلسطيني .

أحمد فؤاد نجم

وقال الشاعر أحمد فؤاد نجم : أيها العصفور الفلسطيني الطروب إن كان جسدك النحيل قد رحل ، فإن شعرك العظيم باق بيننا لم يمت ، وما نأسف له ليس رحيلك فقط ، وإنما رحيلك في الغربة ، فالموت في الغربة وحشة ، إن فقدك يعد افتقادا لأحد أهم رموز الشعر العربي الحر وأحد المناضلين ضد الاحتلال ، فقد كان صوتا للكفاح والنضال الفلسطيني بكلماته التي هي أمضى من حد السيف وأشد وقعا على جنود الاحتلال ، وسيظل مكانه شاغرا حتى يخرج لنا الهم الفلسطيني درويشا آخر . . .!

أحمد الشهاوي

وقال الشاعر أحمد الشهاوي إن درويش عانى خلال الأعوام الأخيرة من «كراهية مغلفة» من بعض الشعراء ، خاصة الفلسطينيين الذين كانوا يكيلون له الشتائم والاتهامات بالتطبيع مع إسرائيل ،لكنه كان دائما الأرفع قدرا والأذكى تعاملا معهم ، وكان لا يرد عليهم .

وأضاف : «كان درويش يؤكد أنه لا يقف عائقا أمام هؤلاء المنتقدين ، وأن عليهم فقط أن يكتبوا ليثبتوا أنفسهم ، وأن الساحة الشعرية الفلسطينية تتسع لألف شاعر» ، مؤكدا أن شعر درويش «سيبقى طويلا عابرا للزمان والمكان معا» .

وتابع الشهاوي أن درويش كان يعلم أن هذا الجدل قدره ، لأنه عرف أن أستاذه وشاعره المفضل «المتنبي» ظل مثار جدل شعري وسياسي في حياته وحتى بعد وفاته وإلى الآن ، وبالمثل سيظل محمود درويش مثار خلاف .

وقال إن هذا الجدل العقيم أوجع قلب الشاعر الراحل في الفترة

الأخيرة ودفعه إلى السفر للعلاج .

بشير عياد

واعتبر الشاعر بشير عياد أن رحيل درويش «رحيل لعصر من الشعر ، لأنه رغم ما تركه من أعمال وقصائد يناطح بعضها بعضا ، فإن غياب هذا الوجه والشخصية وهذا الحضور غير المسبوق خسارة كبيرة للثقافة العربية عامة والشعر خاصة» .

وقال : «لا أقول إن الراحل كان رمزا من رموز المقاومة في فلسطين وحسب ، بل من رموز الشموخ الشعري في أرقى صوره ، وإذا كانت القضية الفلسطينية هي جوهر تجربته الشعرية ، فإنه أعطى للشعر ما يزيد عن سنوات عمره المعدودة» .

وأكد أن شرخا كبيرا أصاب الثقافة العربية والشعراء العرب برحيل محمود درويش ، مضيفا : «غاب عنا هذا الوجه الجميل والابتسامة الصادقة ، والأستاذ الذي تعلمنا منه قبل أن نراه أو نقابله . . رحمه الله وأسكنه جناته» .

عبد المعطي حجازي

وقال الشاعر عبد المعطي حجازي : ابتعد درويش بالقضية الفلسطينية عن العنتريات والحماسة ، وحولها إلى قضية إنسانية للتعبير عن حق الإنسان ، وأضاف : إن محمود درويش استطاع بحنكته الفنية أن يتفوق على أقرانه في مصر والعراق والشام والمغرب العربي وفلسطين .

وقال : إن أهم ما يميز درويش هو علاقته بالقضية الفلسطينية التي ابتعد بها عن العنتريات والحماسة ، وحولها إلى قضية إنسانية للتعبير عن

حق الإنسان في أن يكون له وطن وبيت وصديقة وحبيبة .

وأوضح أن أهم ما اعتنى به درويش هو لغته الخاصة التي تفرد بها عن غيره ، والتي تشير إلى استيعابه للمنجز الشعري العربي ، وهذا ما يجعل شعره باقيا وإضافته مميزة .

(الجزيرة نت/ القاهرة الأحد ٨/١٠/٢٠٠٨)

٥٠٠ مثقف مصري يستعيدون شعر درويش

وفي اليوم الأول على رقود الشاعر محمود درويش في مقامه الأخير المطل على القدس ، تواصلت ردود الفعل التأبينية والرثائية التي تحضر خلالها صورة الراحل بكل أبعادها المؤثرة في الحياة الثقافية العربية .

ففي القاهرة أحيا حوالي ٥٠٠ شخص غالبيتهم من المثقفين المصريين والفلسطينيين أمسية شعرية غنائية في مسرح الجنينة في حديقة الأزهر تكريماً للشاعر الفلسطيني محمود درويش ، وشارك في الأمسية التي نظمتها مؤسسة «المورد الثقافي» الأهلية العربية عدد من كبار الشعراء المصريين والعرب المقيمين في القاهرة . وغصت مدرجات مسرح الجنينة بالحضور بينما كانت أغاني مرسيل خليفة لقصائد درويش تتردد في جنباته .

ورفعت في خلفية المسرح ثلاث صور كبيرة للشاعر الفلسطيني الراحل ، أمام السور الذي بناه صلاح الدين لحماية القاهرة .

وقدمت فرقة فلسطينية قصيدة «خديجة» التي قامت بتلحينها وإلقائها ، تلاها الفنان خليل مرسي ملقياً قصيدة «سجل أنا عربي» .

وبدوره ، أدى الملحن والمغني محمد عزت أغاني لحنها قبل سنوات لقصائد درويش كان قد قام بغنائها الفنان علي الحجار بحضور الشاعر

الراحل قبل ثلاثة أعوام في أمسية نظمتها مكتبة الاسكندرية تكريماً للشاعر.

وشارك في إلقاء القصائد أيضاً المذيعة بثينة كامل وشاعر الفصحى حلمي سالم، الذي اختار مقاطع من «جدارية محمود درويش» الذي حاور فيها الموت ورأى موته بشكل مبكر، أما الشاعر الشعبي أمين حداد، نجل أبرز الشعراء الشعبيين المصريين فؤاد حداد، فقد ألقى نصوصاً نثرية للشاعر الراحل، بينما قدمت الشاعرة السورية لينا الطيبي والشاعرة فاطمة قنديل قصائد من آخر دواوين الراحل «أثر الفراشة».

شاعر الشعب والثورة في بيروت

وتحت عنوان «شاعر الشعب والثورة»، شهدت «دار الندوة» في بيروت ندوة عن رحيل الشاعر الكبير محمود درويش، البداية كانت مع كلمة رئيس الجهة المضيفة الأستاذ منح الصلح الذي وصف رحيل درويش بالقاسي، مضيفاً أن هذا الغياب، أفقرنا نحن العرب، مؤكداً أنه، بين شعراء زمانه العرب هو أقربهم إلى الصفة العالمية، وأنه كان مجموعة مواهب، كان مبدعاً أصيلاً، غنائياً، عصرياً، فلسطينياً، عربياً وأممياً.

شفيق الحوت-صديق درويش ورفيقه

ثم كانت شهادة مؤثرة من الأستاذ شفيق الحوت، صديق درويش ورفيقه في منظمة التحرير الفلسطينية قبل استقالة الاثنين إثر اتفاق أوسلو، شهادة تهدّج فيها صوت الحوت واقترب أكثر من مرة من البكاء، ومما قاله: «من كثرة الموت الفلسطيني، جفّ الدمع وشحت المآقي وفقدت المراثي معانيها، فما عساي أقول عن صديق عمرٍ ورفيق دربٍ وأخٍ أصغر

مني ، أشعر بالحرج لأنني مكرهٌ أن أكون الراثي ومحمود هو الميت» . وانتقد الحوت بعض من رثوا درويش في الصحف والشاشات محاولين الاصطياد في الماء العكر ، وأشار إلى «أن محمود درويش أكثر عبقرية من عبقريته كشاعر وأديب» .

وختم شهادته بعبارة فيها الكثير من الألم والجمال ، قائلاً : «محمود درويش هو أحد أسماء فلسطين» .

شهادات شعرية

ألقى بعدها المحامي جميل جبران كلمة باسم «الحركة الثقافية أنطلياس» ، تلتها شهادة شعرية من الأمين العام للكتاب اللبنانيين الشاعر غسان مطر ، الذي رثا درويش بقصيدة تحت عنوان «لم تعتذر عما فعلت» . تلاه الشاعر طارق ناصر الدين بقصيدة عمودية وصف فيها درويش كأحد أعمدة الشعر العربي الحديث : «شوقي على النبع والسيّاب يرفده / نزار فجّرها محمود ينسكبُ / ببيت شعرك يا محمود نرجعها / مآذن القدس بالآيات نعتصبُ» . وألقى الشاعر محمد علي شمس الدين قصيدة قصيرة بعنوان «الشعراء لا يموتون بل ينامون نوم التفاح» ، وقال فيها : «لينام الشاعر أوصى / أن يُدفن في أرضٍ / لا تُدعى المنفى / وبلادٍ لا تُدعى القبر» .

سلمان وأبو فخر

أما ناشر جريدة «السفير» طلال سلمان ، فأشار في مستهل كلمته المرتجلة إلى أن المتكلمين أفاضوا في وصف الحزن والأسى الذي أثاره رحيل محمود درويش ، وفضّل أن يُطعّم جو الندوة ببعض القصص والطرائف التي جرت للشاعر الراحل والتي كان سلمان نفسه شاهداً عليها .

تلت ذلك كلمة للأستاذ صقر أبو فخر ، استعاد فيها حكايتين في حياة الراحل الكبير ، وختم بالقول : «لا أملك في هذا المقام إلا ما قاله كمال ناصر فوق قبر غسان كنفاني : كفنوه بالعز من أمجاده وادفنوه مشرّداً في بلاده» .

واختُتمت الندوة بكلمة لممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، الأستاذ كمال ناجي الذي خاطب الشاعر قائلاً : «وإن رحلت يا محمود ، لكنك ستبقى كما كنت في حياتك ، صوت الوجع الفلسطيني والأمل الفلسطيني والنصر الفلسطيني» .

(الخليج / السبت ٢٠٠٨/٨/٢٣)

في العراق ايضا

وفي العراق شارك عدد كبير من الأدباء والمثقفين العراقيين في ندوة خصصت للشاعر الراحل محمود درويش ، وأدار جلسة نقاشاتها رئيس الاتحاد الناقد فاضل ثامر والشاعر علي حسن الفواز .

وقال رئيس اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين فاضل ثامر : «مهما نستذكر ونقف عند المنجز الشعري الإبداعي للراحل ، فمن الصعوبة أن نفي حق هذا المبدع الذي حول الشعر إلى رغيف خبز ونبراس يضيء ظلام هذا الزمان» .

ومن جهة أخرى استجاب عشرات المثقفين المصريين لدعوة الفنان العراقي نصير شمة ، لإضاءة الشموع في وداع الشاعر الكبير محمود درويش ، وذلك في ساحة بيتي «الهراوي» و«زينب خاتون» الأثريين . وبجوار لوحة كبيرة علقت عليها صورة الشاعر الراحل ، تحتها عنوان «في حضرة غياب محمود درويش» جاءت الوقفة الصامتة إلا من نحيب

البعض ، حيث كانت الفنانة محسنة توفيق تحبس دموعها قائلة إنها تبكي فلسطين في وفاة محمود درويش .

وعلق نصير شمة قائلا : إن رحيل درويش لا يشبه رحيلاً آخر ، فنحن متألمون لأنه رحل دون أن يرى دولة يرفرف عليها علم فلسطين ، داعيا الجميع إلى قاعة بيت الهراوي حيث عزف على عوده مختارات من أعماله أهداها إلى روح الشاعر الكبير .

(الخليج ٢٠٠٨/٨/١٥)

الوسط الثقافي الموريتاني
يتذكر الشاعر المقاوم

وفي نواكشوط - موريتانيا تلقى الوسط الثقافي الموريتاني نبأ رحيل درويش ببالغ الأسى والحزن ، وذهب أكثر من كاتب موريتاني يستعيد علاقته بدرويش الذي يتبين من ردود الفعل هذه مدى تعلق شعراء وكتّاب ومثقفي موريتانيا بالشاعر الذي ترك غيابه فراغاً موحشاً في الثقافة العربية .

بهاء بديوه

فقال الشاعر ببهاء ولد بديوه : «علاقتي مع الشاعر محمود درويش تمتد إلى أكثر من عشرين سنة عندما قرأت ديوانه «حصار لمدائح البحر» ، وهو الديوان الذي يمثل في رأيي أوج المسار الفني في حياة هذا الشاعر الفريد ، الذي جسدته بمجموعاته الشعرية بالإضافة إلى الكثير من الكتابات النثرية التي تعد هي الأخرى ، من حيث جماليتها الفنية ، جانبا معتبرا من تجربته الشعرية .

لقد كنت أعرف درويش قبل هذا الديوان ، ولكن معرفتي به بعد قراءة هذا الديوان تحولت إلى علاقة لا تنفصم ما بيني وبين نصه الشعري والنثري ، فهو بالنسبة لي الشذا الذي شدني بسحره الغيبي إلى

بستان درويش ، بكل ما فيه من خصب فني وتنوع متناغم وإنسانية فواحة» .

حبيب الله أحمد

وقال الكاتب الموريتاني حبيب الله أحمد : «اليوم كل مواطن عربي يعزي نفسه . . فالمصاب واحد . . . وما يمكنني قوله في هذه العجالة إن محمود درويش كان وسيبقى قمة سامقة في الأدب العربي والعالمي ، فقد كان شعره أكثر الشعراء الفلسطينيين تناولا من طرف المواطن العربي الذي وجد في شعر درويش مزيجا فريدا من اللغة السهلة الممتنعة والخيال الخصب والرمز العربي الأصيل ، الذي استنطقه درويش استنطاقا شعريا فريدا ، واستطاع بواسطة هذا المزيج السحري الفاتن أن يبدع أسلوبا جديدا ، ويهيئ أرضية جديدة للشعر العربي والعالمي .

ثم إن درويش ، وهو شاعر القضية والأرض ، كان شاعرا إنسانيا ، ويمكن لمس ذلك بكل سهولة في قصائد الشاعر الباحث عن السلام ، وليس ذلك السلام الذي هو على حساب الكرامة والأرض والمبادئ . فالكيان الصهيوني استطاع أن يحتل الأرض ، ويجرف القرى ، ويجرف الزيتون . . لكنه لم يستطع بكل الوسائل والطرق أن يجرف قصائد درويش . . بل إن هذه القصائد جرفت الكيان وحضارته المزيفة وأسطورته المفضوحة . . . ولقد وجد كل عربي أرضه الفلسطينية الحبيبة قدسا وتراثا وحياة وحبا وقيما في قصائد درويش . . لا نقول إن العرب وحدهم خسروا هذا الشاعر . . العالم كله خسر شاعرا عالميا بامتياز واستحقاق . . لذلك نعزي الأسرة الإنسانية في أحد أبنائها الذين أعطوها روائع أدبية خالدة . . . إن كان درويش قد رحل فلم ترحل «عصافير بلا أجنحة»

و«أوراق الزيتون» وسوف يبقى . . . «عاشق من فلسطين» و«مديح الظل العالي» .

أحمد ولد عبدالقادر

وألقى الشاعر أحمد ولد عبد القادر كلمة وصف فيها غياب محمود درويش بأنه كارثة أصابت المقاومة في الصميم . . وكانت قصيدة «بنت يومها» بكى فيها ولد عبد القادر صديقه محمود درويش ، واعتبره نجمة كانت تضيء سدول الليل البهيم الذي تتخبط فيه الأمة ، وعزى فيها فلسطين الثورة ، فلسطين التي لا تموت .

ولد هنون وولد سيدي

كما ألقى الشاعر الموريتاني أوليد الناس ولد هنون قصيدة تنضح بالفجيعة ، وحبلها الذي التف حول عنق القضية .

أما الشاعر والكاتب الشيخ ولد سيدي عبد الله فقد قرأ شهادة حول لقاء جمعه مع الفقيد في الرباط عام ٢٠٠٤ .

منتدى القصيد

وفي كلمته الموجهة للجمهور الموريتاني ، قال نادي القصيد الموريتاني . . . «محمود درويش . . شاعر الأرض والثورة والمقاومة والإنسان ، شاعر الحب والحرية والجمال ، كتب للأمس واليوم والغد فحجز لنفسه مقعدا بين الخالدين ، رسم بكلماته خريطة وطنه الكبير فلسطين ، فكانت عصية على الجدران والحواجز» .

وقد أقام «منتدى القصيد الموريتاني» أمسية تأبينية لمحمود درويش

استهلها الشاعر الموريتاني الشاب أبو بكر ولد المامي بقصيدة رثائية لدرويش .

وألقى رئيس جمعية النقد الأدبي في موريتانيا كلمة حول درويش الشاعر المقاوم .

واختتمت الأمسية بكلمة للشاعر محمدن ولد الشدو عن محمود درويش .

كتّاب عمانيون يرثون
الراحل الكبير

بقصائد الرثاء ، والشموع نعى كتّاب وأدباء سلطنة عمان فقيد الشعر العربي الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش ، ونظم الأمسية الرثائية الجمعية العمانية للكتاب والأدباء في النادي الثقافي .

الشاعر ناصر البدري – رئيس الجمعية قال : «محمود درويش الشاعر والشعر . . محمود درويش الذي كان له ، وله فقط ، أن يكون كما يشاءُ ، طائراً وفكرة وكَرْمَةً وقصيدة ، فحارب بالجَمال كلَّ ما في العالم من قُبح ، هو الحاضر حتى في غيابه المرير ، هو المُثقلُ قلبَهُ بإرهاق عاشق نذر نفسه للبشرية فلم يكن لهذا القلب ، رغم شساعته ، إلا أن يعلن قصوره أمام عظمة درويش» ، وأضاف البدري : «وها هو الشعر يعلن الحداد ، وها هي القصائد تتدثر بالسواد ، حزينة مساءاتنا بعدك يا درويش . . حزينة أرواحنا التي تحيا بقصائد اللوز والزيتون واليمامات ، لأنك ترجلت عن حصانك أيها الفارس وتركته وحيدا ، كما نحن الآن نشعر باليتم ، بفقدان جزء كبير من أرواحنا بُتر هكذا بغتةً ونحن من تربى على عصافيره التي تموت في الجليل» .

وجاء في كلمة البدري أيضا : «نحن الذين نقف الآن عاجزين عن التصديق بأن الصدمة حقيقة ، وبأن الموت حقيقة يذهب إليه الشعراء الأكثر جمالا وعظمة مثلك ككل الكائنات ، أنت اليوم كما تريد يا درويش . . وستظل أبداً علامة فارقةً في تاريخ الشعر العربي» .

وتضمنت الأمسية الرثائية قراءة قصائد متنوعه لمحمود درويش ، والتي استمع الحضور الكبير إليها بصوت تسجيلي للشاعر الراحل ، منها قصيدة «عابرون في كلام عابر» ، ومقاطع من «الجدراية» ، التي ألهبت قلوب المستمعين وكأن درويش بينهم ، مصفقين ومتحسرين على رحيله» .

(وكالات/١٤/٠٨/٢٠٠٨)

الفصل الرابع

شهادات نخبة من كتاب
وأدباء وشعراء العرب

فيما يلي مقتطفات مكثفة من شهادات نخبة من الكتـاب والأدباء والشـعـراء العـرب فـي المرحـوم محمود درويش :

إلى أن تعود إلى البروة

رشاد أبو شاور

مات الشاعر، ولكن شعره باق .

زيتونة فلسطين الشاعر الكبير عبد الكريم الكرمي قال في واحدة من قصائده :

الخالدان الشعب والموطن

ولأن الوطن فلسطين ، ولأن الشاعر الكبير محمود درويش جاء من رحم خصب ، ولأنّ فلسطين شعبا وأرضا تستحّق كّل الشعر العظيم الذي أبدعه أبناؤها منذ إبراهيم طوقان ، مرورا بأبي سلمى ، وعبد الرحيم محمود ، وحسن البحيري ، وفدوى طوقان ، ومعين بسيسو ، وصولاً إلى الحيين أطال الله عمرهما : هارون هاشم رشيد ، ويوسف الخطيب ، فإن سلالة الكبار لن تنقطع ، والمواهب لن تنضب . . .

في حوار بثّته فضائيّة فلسطين أجراه معه نبيل عمرو ، قال محمود درويش : شعراء فلسطين مظلومون ، هم الذين يغنون المشهد الشعري العربي ، لأنهم يعاملون على حسب الرقعة الجغرافيّة التي ينتمون لها!

ومّما قاله ويحسن التوقّف عنده : أستطيع أن أذكر لك عشرة شعراء فلسطينيين كبارا . . .

فلسطين التي تفقد شاعرا كبيرا ، ليست عاقرا ، وهي أنجبت ، وستنجب ، وهي ليست يتيمة ، ولا (أرملة) ، فهذه التعبيرات منفّرة ، ومسيئة ، والشاعر الكبير لا يقبل بها . . .

حين جاء صوته من عمق فلسطين ، ترافق هذا الحضور مع تباشير انطلاقة الثورة المعاصرة ، والزمن الفدائي ، وهو لم يحضر وحيدا ، ولكنه حضر مع : راشد حسين ، توفيق زيّاد ، سالم جبران ، وصديقه ورفيقه سميح القاسم ، والذين قدموهم هم إخوتهم في الشتات : المعلّم الكبير غسّان كنفاني ، الشاعر الكبير يوسف الخطيب (ديوان الوطن المحتّل) ، الكاتب إبراهيم أبوناب ، وهؤلاء قدّموا تلك الأصوات التي تؤدّي دورها في بلورة الشخصيّة الوطنيّة الفلسطينيّة ، تحديًا ، ومقاومة للمشروع الصهيوني الرامي لإلغائها .

إن أهميّة محمود درويش أنه وجد في زمن الكبار ، وحقق لموهبته مكانة كبيرة بينهم : أدونيس ، خليل حاوي ، نزار قبّاني ، البياتي ، الفيتوري . . .

لم يكن محمود درويش (طفرة) شعريّة ، ولكنه كان نبتة متميّزة في حديقة شعريّة عربيّة رائعة . . .

وكانت فلسطين القضيّة ، والحّق ، والفداء ، والبطولة ، والألم ، التحدي الذي حرّضه على إبداع شعر يليق بها ، ويرتفع عاليّا بها لتكون

منارة ، وتحديّا ، بشعر أبقى من صرخة الألم العابرة ، ومن الشعار الحّار الذي يتلاشى سريعا .

(عن عرب ٤٨/١٣/٠٨/٢٠٠٨)

«كما أبو سلمى»... محمود درويش يترجل في الولايات المتحدة»

عبد العزيز السيد

في فصل جديد من التراجيديا الفلسطينية يقضي محمود درويش شاعر فلسطين العربي العالمي تحت مبضع الجراح في الولايات المتحدة . . . بعد سبعة وعشرين عاماً على رحيل شاعر فلسطين الأكبر وزيتونة فلسطين « أبو سلمى» في الولايات المتحدة وأيضاً تحت مبضع الجراحة . . وكلاهما مضى بعد نصف قرن من المقاومة بالشعر وبالسياسة معاً . . وكأن قدر كبار فلسطين بل الفلسطينييْن الأكبر في الفكر والإبداع المقاوم أن يقضوا هناك حيث الحضن الصهيوني الدفيء . وهنا لا نتحدث عن المقيمين على أرضها مثل إدوارد سعيد لكنا نتحدث عمن يسوقهم قدرهم وقدرنا إلى مصيرهم . .!

إننا إذ ننعى للأمة ابن فلسطين وشاعرها ، فإننا نرى في رحيله في هذه الظروف الفلسطينية القاسية خسارة وطنية وحضارية كبرى ، وعزاء فلسطين والأمة أنها أمة ولود وأن العطاء متواصل .

رحم الله محمود درويش وستظل صرخته في وجه العدو الصهيوني :
أنا عربي . . . وصرخة اليقين في حيفا قبيل الرحيل .
كان اسمها فلسطين . . . وأصبح اسمها فلسطين

هي صرخة الحق المبين ، بل هي رسالته للأجيال في وجه الذين يقولون بخلاف ذلك .

رحم الله محمود درويش

محمود درويشها - النورس العائد

عدنان كنفاني

تسجد الكلمات في محراب الخشوع ، وتهويمات جلال الموقف ، ومفردات الجداريات التي كثيراً ما تلفّحت بعذابات الناس ، وطافت بين أرواح المعذبين لتنتشل من قاع الفاجعة ، نبضة أمل معجونة بفيض ذاكرة تنفّست عطر فلسطين .

لم يكن الوطن في يوم من الأيام حقيبة ، ولم يكن النابت من جذر الزيتون مسافراً إلا ليقيم طقوس عبادة تستلهم من فلسطين ، روح فلسطين .

محمود درويش . . أيها الساكن أبداً بروج حلمنا الأثير ، ذلك الموشّى ببريق ليس له مثيل ، المزيّن بحبّات العيون ، ورجفات الأصابع ، وتردد الأنفاس . .

أيها النورس الذي صفق ذات يوم بجناحيه ، وغادر حصون الخوف ، ليلتقي بخوف أكبر يطوف على مراكب الشبهات . . مجدافُه ضمير عالم خائب ، وشراعه صنوف عذابات تستصرخ شدو القصب ، ورنّات العتابا .

تعود اليوم إلينا كما يوم سافرت ، كانت المراكب تدفع بك إلى شطآن الوهم .

قالوا لك تعال ، فقلت : بل اخرجوا من دمنا .

تعود إلينا كي تبقى تواصل الإقامة فينا ، في بطن رائعة كانت تسمى فلسطين ، وصارت تسمى فلسطين .

عندما تلتقي «غسان» على مشارف عكا ، ونبضات «البروة» قل له : ستبقى فلسطين أمّ البدايات ، وأمّ النهايات .

(مؤسسة فلسطين للثقافة-١١/٠٨/٢٠٠٨)

بين ضوء الكلام، وظُلمة الزمن، عاش محمود درويش

الأول أسنده إليه الفلسطينيون والعرب لكي يُطفئ الجحيم بماء الفراديس . جعلوا منه مَطْهَراً يتجاوزون به خيبة العدل والسياسة ، ورمزاً يلجأون إليه لكي يحنّوا ويتذكروا حيناً ، ولكي يستشرفوا ويأملوا ، حيناً آخر .

وهو عبء احتضنه ، وإن كان طاغياً عليه ، وهذّبه وارتقى به ، وقرَنَ فيه بين الألم المرير والمتعة العالية ، وبين الفجيعة والجمال . وفي ذلك صارع العبءَ الآخرَ ، عبء الزمن ، وآخاه واحتضنه كذلك .

كتب شعره كمثل كيمياء تحوّل الموت الى حركة حية ، وتخترع الشطآن حتى للقوارب المحطّمة . وحيثما اغتربَ ، أقام عاصمة للأمل ، جاعلاً من الشعر أرضاً أخرى ، وسماء أخرى .

لكن ماذا تقول لك الكتابة حين تنهار فوق صدرك ذروةٌ من ذرواتها؟ خصوصاً أن محمود درويش لم يكن ، بالنسبة إليّ ، مجرّد صديق . كان أخاً قريباً ، وشريكاً حميماً في الحياة التي جمعتنا في بيروت ، قبل الحصار ، وفي أثنائه ، وبعده في باريس . كنّا في هذه المدينة الفريدة نبني جسور الشعر ونربط الأفق بالأفق .

وكنا في بيروت نفتح لغاتنا على الرياح الأربع . وفي بهاء الصداقة كنا نحتفل - في بيتنا ، كل سنة ، باليوم الذي ولد فيه مع نينار التي ولدت في اليوم نفسه : ١٣ آذار .

كان يأخذها بين ذراعيه ، فتقول له بطفولتها الشاعرة : «أنت كبير ، وأنا صغيرة . شو استفدنا؟» .

مع ذلك ، فيما بعد ، في غلواء الصداقة ، والتباس علاقاتها ، باعَدَت بيننا الحياة . غير أن الخيط الذي يصل الضوء بالضوء لم ينقطع بيننا أبداً .

الآن ، أحب أن أبكي .

(القدس/ ١١ /٨/٢٠٠٨)

كلمة منح الصلح

بيروت في ٢٠٠٨/٠٨/٢٠

موت الربيع وموت شاعر أمة
صنوان في فقد الهناء الأكبر
يا طالما فاءت إلى أحلامه
وتقلبت في قلبه المخضوضر
يعطي ولا يبقي لديه وكأنما
هو بائع الأزهار وهي المشتري

أبيات قديمة لأمين نخلة يستذكرها اللبنانيون اليوم في وداع الشاعر الفلسطيني والعربي الكبير محمود درويش .

إبراهيم طوقان ، كمال ناصر ، محمود درويش ، ثلاثة من شعراء فلسطين ، أعطوا على أرض لبنان وتحت سمائه وفي حي رأس بيروت بالذات الموصوف في بعض الأدبيات بالحي اللاتيني لمدينة بيروت ، جزءاً من أجود ما تمخضت به مواهب الشعب الفلسطيني ، وثلاثتهم أبناء حرية في النفس جعلتهم يعيشون متمردين ثواراً على طريقتهم في جحيم النسيان الرسمي العربي للذات القومية ، أوفياء لفلسطين ، هي التي تبقى وحدها بين البلدان العربية مميزة ، معفية بحكم محوريتها في النضال العربي والإنساني من أن تحمل التصنيف الشائع بكلمة قطر ، لتكون وتبقى

وطناً مفرداً مميزاً في نظر العرب جميعاً . فكل عربي ، شاء أم أبى ، تشكل فلسطين امتداداً له وقبلة سياسية ، وهي بامتياز وطن له عمق استثنائي في عروبة كل عربي وإسلام ومسيحية كل مسلم ومسيحي من أبناء العروبة . فالفلسطينية هوية وطنية وعمق خاص في الذات القومية ، لا مجرد جزء منها . فلست أنت عربياً إن لم تكن عربياً وفلسطينياً معاً كمقر وممر لكل ما هو هم عربي ونهضوي .

طبعاً ، هؤلاء الثلاثة الذين ذكرناهم ليسوا كل الفلسطينيين الذين أنتجوا شعراً راقياً في لبنان أو غيره ، ولكنهم بشكل أو آخر نماذج على الشعر الفلسطيني هنا وفي كل مكان .

أطل محمود درويش من أرض فلسطين طالب حرية لها ولكل عربي وكل إنسان ، لبنانياً كاملاً ومصرياً كاملاً وسورياً كاملاً ، وعراقياً ومغاربياً ، وغاب من هذه الدنيا وهو على ذلك لا يذوي ولا يتغير ، قمراً عربياً مشعاً يطل من سماء فلسطين ، مجنحاً مغرداً بسحر الكلمة والنغم وثنائية الحلم والعمل الكامنة في عقله النير ، والمتغلغلة في حسه المرهف وعقله المبدع وحنكته السياسية .

بين شعراء زمانه العرب ، كان محمود درويش أقربهم الى الصفة العالمية ، وأقدرهم على إسماع صوته للقارات المظلومة والمتخمة على حد سواء . وقد قدّر لي أن ألقاه في جملة ما لقيته خارج لبنان مصر وفي روما وفي باريس ، فرأيت في عيون مجالسيه المتحلقين حوله ، ومن مجمل تصرفاتهم معه ، أي اهتمام كانوا يحيطونه به ، ليس كعصفور من الشرق ، كما كان توفيق الحكيم سمى نفسه وهو في فرنسا بوضع مشابه ، بل كصاحب قضية وشاعر منطقة اسمها فلسطين ، تجاوزت الزمن الذي كان فيه أقرب أصدقائها من الغربيين يقولون إنها في نزاعها مع اليهودية

المتصهينة قضية صراع حق مع حق . فمع محمود درويش سمعتهم يسفهون أمامه هذا المنطق الجائر . فالعرب الفلسطينيون في نظر الجالسين من مؤيديهم المتزايدين ، هم أصحاب حق كامل ، بل أصحاب الدار ، ولتعط فلسطين العربية الحرة بعد ذلك ما تشاء لمن تشاء ، فهي وحدها صاحبة الحق في أن تحسب .

كنت أسمع هذا الكلام للمرة الأولى صريحاً من فرنسيين وغربيين كبار ، لا يطلبون لليهود شيئاً على حساب فلسطينية فلسطين ، لأن فلسطين هي بالفعل والحق لعربها ، وليس لأحد فيها شبر إلا برضاها ورضى العرب .

إنها نقلة نوعية في الذهن العربي والغربي معاً ، كانت حركة التحرر العربي قد حققتها إذ ذاك بفضل قيادات عالمية كعبد الناصر وبن بلا وحزب البعث في يوم من الأيام ، وبعض اليسار العالمي ، عند بعض الغربيين ، والوعي السياسي لبعض الفلسطينيين من أصحاب المواهب والحضور الثقافي ، ومنهم محمود درويش .

كان محمود درويش مجموعة مواهب تعود الناس أن يجدوها متناقضة عند غيره ، مبدعاً ، أصيل البيان والتبيين العربيين ، غنائي النسق والإنشاد ، حديثاً ، بعيد الاشارات ، نابه الفكر ، عصري الأداء ، فلسطينياً كاملاً وعربياً كاملاً ، وأممياً متجدداً عن كل من سبقه من الشعراء ، بل والساسة ، أدى بمفرده لقضية فلسطين وقضايا العرب والشعوب ما ساهم في رفع قدر أمته وأوفى آمال فلسطين وتطلعاتها حقها .

تأثر كمنضو لحركة التحرر العربي في بناء شخصيته الأدبية والسياسية المميزة ، بمجموعة خصوصيات ، منها الخصوصية الامية العالم-الثالثية ، والخصوصية المهجرية اللبنانية والسورية ، والخصوصية

الأكاديمية لبعض كبار المثقفين الفلسطينيين في الولايات المتحدة كمنصور أرملي وإدوارد سعيد ، فوصل الى كل الأجيال وكل البيئات والمغتربات . وأي شاعر كان ، ذا شبه في الهمس الإنساني والتميز مع بعض الشعراء العراقيين المجددين كبدر شاكر السياب ، وبعض شعراء المهجر اللبناني والسوري الأفذاذ من السابقين ، كجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحاني وإيليا ابو ماضي ، الفارين من سجن البلاغة التقليدية الى آفاق العالمية الحرة ، بل والإنسانية القادرة والمؤثرة في كل إنسان حيثما كان ، لتشركه في خدمة قضايا الحق العربي ، عن طريق عقل سياسي وأدبي جديد يماشي عصوراً وأمماً كسّرت قضبان سجونها ، فهي لن تعود إليها بفضل حرية العقل والفكر والأداء العصري النافذ .

أقول ، كم أفقرنا نحن العرب غياب هذا الإنسان الفذ محمود درويش في هذا العالم القاسي على نفسه بإنجازاته ووجوه تفوقه وأطماعه وقسوته على فلسطين وأمة العرب عامة . وكم نحن مدينون حقاً لمن تمثلت فيهم قدرة إنساننا العربي أحياناً على الارتفاع مع أفذاذها الى مستوى الزمن الذي هو فيه ، بسعة آفاقهم الفكرية وفطنتهم لروح العصر ، فالأمة مدعوة إلى أن تثبت وجودها في كل المجالات ، فلا تراوح مكانها في عصر التحول السريع القاسي وسباق التفوق .

إننا ندفع ثمن قسوتين ؛ قسوة الطامع بأرضنا ، وقسوة انفراد كل عربي بهمومه . وكأن عطاءات فلسطين لم تكف لإيجاد هم مشترك لكل العرب ، وهي التي فعلت ما فعلت في تثوير الأحرار في أمتنا العربية ، وفي القريب والبعيد من القارات .

محمود درويش -صنوبرة الكرمل

معن بشور

كان محمود درويش شاعراً وناثراً ، مقاوماً صاحب رؤية ، وسياسياً ذا مواقف ، مفكراً بلغة الشعر ، وفيلسوفاً بأناقة الأدب ، موهوباً وواهباً ، جدلياً في شعره ، وشاعراً في جدله ، حراً في سجونه المتكررة وسجيناً في منافيه المتعددة ، لذلك كان شعره مليئاً بصور المتقصي بدقة ، وكانت قصائده سرداً لتفاصيل لا يسكن فيها الشيطان ، ولا يصيب سامعها الملل .

حمل فلسطين في وجدانه وعقله ، كما حملته فلسطين في قلب جراحها وآلامها ، فخاف العدو من قصائده أكثر من خوفه رصاص المقاومين وعبواتهم وصواريخهم ، فمنع تدريسها في مدارسه والجامعات ، لأنه أدرك أن هذه القصائد تتفجر مراراً وتكراراً ، فهي حافز للحرية عند طالبها ، وهي مثيرة للشك والقلق في قلوب أعدائها وعقولهم .

كانت له وصاياه الجميلة ، فدعا إلى شكر «الهوية» التي كان بها يعتز ، ودعا إلى شكر من يتذكر «حرفاً من اسمه أو اسم بلاده» ، ودعا من «يعد فطوره أن لا ينسى قوت الحمام» ، ودعا من يعد للحرب أن «لا ينسى من يطلبون السلام» ، ودعا من كان له بيت أن «لا ينسى شعب الخيام» .

كانت الوطنية حاضرة في قصائده دون استعراض ، قوية دون إقحام ، بل ، بشكل خاص ، دون مباشرة تجافي الإبداع ، أو وطأة تثقل الكلمات ، بل أحياناً تظن وأنت تقرأ قصيدة من قصائده أنه ربما «تعب» من الشعر الوطني أو فرّ منه ، فإذ به يفاجئك وهو غارق في شعره الحياتي أو الفلسفي أو الإنساني أو التأملي بدفق من روح ، بل ، من ريح ، وطنية وقومية عارمة .

فيا حبيب شعبك وأمتك لم نستطع فعلاً أن «نوقفك من الموت»

والموت حق وقضاء يأمر به الله ، ولكن بالتأكيد لن نعيدك نجمة في التراب ، وأنت الذي جعلت من كل حبّة تراب في وطنك نجمة تضيء في سماء الحرية .

ونعدك أن لا نضع - كما أردت - على قبرك «البنفسج لأنه زهر المحبطين يذّكر الموتى بموت الحب قبل أوانه» ، بل سنضع على تابوتك ، كما طلبت «سبع سنابل خضراء إن وجدت ، وبعض شقائق النعمان إن وجدت» ، وهل من اخضرار يفوق اخضرار شجرة زيتون من «نعلين» التي تقاوم منذ أشهر ، كغيرها من قرى فلسطين ومدنها ، بصمود أسطوري «جراد الجدار» الذي يلتهم الأخضر في فلسطين والأكثر اخضراراً ، وهل من احمرار يعادل احمرار دم شهداء وطنك وأمتك وقد نثروه فوق كل الهضاب والتلال والسهول يرسمون به خارطة طريق مختلفة ، خارطة للاستقلال والعودة والقدس .

(بيروت ٢٠٠٨/٨/١٠)

درويش العائد من كل الجهات

خيري منصور - من أقرب أصدقاء المرحوم-

ميتة رشيقة ، تليق بغزال أو شاعر فقط ، يومان فقط استطاع محمود درويش أن يحتمل جهاز التنفس الصناعي ، وهو الذي اتسع قلبه لأكوان عدة وليس لكوكب واحد .

ما من شاعر قبله أعاد للشعر الاعتبار بحيث ينافس عدد من يأتون لسماع قصائده عدد مشاهدي كرة القدم ، وما من شاعر مثله فك الاشتباك بين الشاعر والرجل ، لأنه أعاد الشعر الى الإنسان مثلما أعاد الناس الى الشعر .

منذ بواكيره في الكرمل الرسولي حتى سنوات النضج التي اتسعت فيها الرؤى وضاقت العبارة ، وهو متشبث بجمرتين توأمين لا تفترقان ، جمرة الشعر وجمرة الوطن ، ولم يخف محمود ذات مرض أو حصار أو سجن من الموت ، بل دجنه وربطه إلى إحدى قوائم سريره أو مكتبه ، والجدارية ميدان صراع تراجيدي بين الإنسان والموت انتهت بانتصار الحياة ، لأنها أقوى وأبقى من أي موت .

إن من أتيح لهم الاقتراب الحميم من محمود عرفوا فيه إنساناً مغايراً تماماً لما يقوله هواة نسج الأساطير حول المشاهير ، خجول ومتواضع ولماح ، وذكاؤه يتسرب لفرط فيض من الشعر إلى المقالة ، ومن الاثنين الى النكتة الرشيقة والتعليق السريع ، لم يخف من الموت إلا لأنه كما قال ذات قصيدة يخجل من دمع أمه ، إنه شاعر آسر في قدرته على تقطير الشعر من رحيق الصبير ، إنه ميداس الذي يلامس التراب فيحوله إلى ذهب ، وما لا يصلح للشعر لدى سواه يصبح شعرياً بامتياز إذا لامسته أصابعه .

محمود درويش الظاهرة الأبهى والاستثناء الفذ في ثقافة العقود العربية الخمسة العجاف ، التي جعلت الناس يعزفون عن القراءة ويدبرون عن الشعر ، لأنهم أصيبوا في صميم القلب بحالة من القنوط ، لقد مات بعيداً عن حيفا لكن قصائده تمتزج بحفيف زيتونها وصفصافها .

ولم يكن يشعر على الإطلاق بأن أمسيته الأخيرة في رام الله أو تدشينه للميدان الذي حمل اسمه في منتصفها أو طابع البريد التذكاري الذي حمل صورته قبل أسبوع هي حفلات وداعية .

إنه عائد من كل الجهات لأن صوته مبثوث في الريح منذ أهدى أولى قصائده للعاصفة .

(صحيفة الخليج الإماراتية ٢٠٠٨/٨/١١)

شهادات لأدباء وفنانين وكتاب عرب في غياب درويش

نشرت صحيفة «السفير اللبنانية» في عددها الصادر يوم(١٢/٨/٢٠٠٨) شهادات مطولة لشعراء وأدباء وكتاب العرب في رحيل صاحب «لماذا تركت الحصان وحيدا؟» ، فيما يلي مقتطفات منها :

حسن جوني: متحف لقصائدك

(سجل أنا عربي) . . . حين أسمعنا محمود درويش حقيقة هويته ، كان شعره يتدحرج في زمننا مثل كرة من حنين مكسوّ بالغضب ، وحين أخذ يزرع وجداننا بقصائده ، اعتدنا على استقبال دواوينه الشعرية كحدائق من برتقال فلسطين وورودها المكتوم ، كنت أشم في شعره رائحة تراب فلسطين الممتزج بالقهر والظلم والشهادة ، كان محمود درويش مقاتلا من طراز مختلف ، دخل في الشتات مع من نزح وأدخلنا في أهوال الشتات ، حتى لظننت أنّا في شتات واحد .

محمود درويش . . . سيرافقك في رحلة الموت شريط النكبات والهزائم والآمال المكسورة ، ومرايا الوجدان العربي المعتم التي لا قسمات لنا فيها ولا ملامح .

حسبي أن أجد في قصائدك متحفا من لوحات رسمتها أنت بحروف عربية ، لكن بنقاط من دمّ . عزاؤك أنك ستعود الى تراب فلسطين ، وهذا كل العزاء .

صلاح فضل: التملص من المباشرة

في شعر محمود درويش أمران واضحان ، أولهما أنه كان يميل إلى تغليب جانب التعبير على التجريد في كتابته ، فبوسعنا ان نتمثل جيدا التجربة التي يعبر عنها ونعجب بها ، والثاني أنه كان يعمد إلى تشعير اللحظة الوجودية بالوصول بمفارقاتها إلى أبعد مدى وأكثف نقطه تتجلى عندها ومضة الجدل وهي تبلغ قرارها التصويري والإيقاعي الأخير ، وإن ما يسعفه لتفادي نثريه السرد هو هذا الوهج الإنشائي الذي يتخطف عبارته فيكسبها حرارة وحلاوة لا تخلو من بعض المرارة ، لقد استطاع محمود درويش التملص الماهر من مباشرة السياسة في قصائده ، على الرغم من أن القارئ تعود دائما على فهمه وتفسيره في ضوئها ، فهو منقوع في مائها ومخبوز في أتونها . وبقدر ما كان يرفض أن يتكئ على نبل قضيته ، فإنه كان يجتهد في تجديد مساراته وابتكار دروبه وأساليبه ، غير أن ما أنقذ شعره من عملية الرمز الخفي والتجريد البعيد هو حفاوته بالإشارات الدالة ، الكافية لكي ينفتح القارئ على فنون التأويل الخصب والتذوق الجمالي الممتع لأبعادها .

رفيق علي أحمد: منارة عتمتنا

محمود درويش منا ولنا ، لقد كان منا وما زال ، كتبنا وحكانا وحفظ ذاكرتنا ، من خبز وقهوة أمّنا ، وربطنا بجدائل أرضنا بخيط أمل يلوّح بذيل

تاريخنا ، حفّزنا على الثورة على أنفسنا أولا ، وأثار فينا الحنين الى ثقب الأرض . دلنا بالبرهان أن اللغة والشعر قوتان متوازيتان وأقوى من الرصاص ، تفعل فينا فعلها وفي كل نفس بشرية .

حين نسمع اسم محمود درويش نرى في العين والوجدان فلسطين بناسها وأرضها وعتبات بيوتها ، وتطالعنا كل الصور وذكريات الحب والحنين ، إلى الأصالة التي تحفزنا للثورة على الذات وعلى أعداء الإنسانية من أجل الحق والعدل والإنسان أينما كان .

حيدر حيدر: لا خليفة له

تكاد الكلمات تضيق وتستعصي في التعبير عن هذه الصدمة الفاجعة التي زلزلتنا حتى تخوم البكاء والانتحاب . فقدان الشاعر العظيم محمود درويش فاجعة على المستوى العالمي لا على المستوى الفلسطيني والعربي . لكن ما يعزّي الثقافة العربية والشعر العربي هذا التراث الشعري العظيم والخلاق الذي تركه لنا وللأجيال اللاحقة .

سيكون من الصعب أن يكون لمحمود درويش خليفة في هذا المستوى الفني المدهش الذي أوصله إلى فضاء العالمية ومستوى الشعراء العظام في العالم .

لترفّ الحمائم فوق روحك يا محمود وفوق فلسطين التي غادرتْها ولّما تتحرر من عدوها الغاصب .

وليد معماري: في الوقت الصعب

صوتنا يغادرنا الآن ، ويترك لنا شوك الطريق ورماد البراري ، يمضي بجلال يشبه جلال الآلهة . . هل غادرنا في الوقت الصعب؟ أم انفجرت

الشرايين فيه من زخم الألم ، وقد رأت ما رأت ، وسمعت ما سمعت ، وصُلبت ما صلبت؟

انتهت الدروب إلى مفازة العقم ، والبغال المعصوبة العيون تدور . . تدور! ولا ماء للشفتين ، ولا ندىً على مساحات الوردة ، ولا غدير عذوبة للصفصافة ، والبلاد نائمة . محمود درويش ، لك المجد ، ولنا الدمعة الهاطلة .

عمر فاضل: شاعر العروبة المعاصرة

ليست فلسطين وحدها غارقة في الحزن على ابنها البار ، رمز صمودها ، وعذاباتها ، وكبريائها محمود درويش ، الدنيا العربية بأسرها في حداد على ما تعتبره شاعر العروبة المعاصرة الأبرز .

هو الذي حلّق في التعبير عن قضية العرب فلسطين ، وقضية الحق العربي إلى ذروة إسانية عالمية ، وحقق للشعر العربي مكانة عالمية على صعيد الإبداع الفني ، فترجم شعره الى معظم لغات العالم .

فاطمة ناعوت: آن للقلب المتعَبِ أن يستريح

«لا الرحلةُ ابتدأتْ ، ولا الدربُ انتهى» ، لكن هناك طفلا عاد بعد رحلةٍ إلى بيته القديم فلم يجد لُعبتَه وسريرَه وكراريسَ الرسم والزيتونة . لا يجدُ البيتَ ذاتَه . لا يجدُ الحارةَ التي بها البيتُ . ولا الشوارعَ ولا الحيَّ . لا يجدُ القريةَ بحالها . يبحث الصغيرُ في الخريطة ويشير بإصبعه : كانت هنا بلدتي ، وهنا بيتي . فأين راحت؟ ويجيبُ الكبيرُ : محاها صهيونٌ يا ولدي ليحطَّ محلَّها أرضا يبابا! هيا بنا ، يا صغيري إلى بيروتَ إلى القاهرةِ إلى تونسَ إلى باريسَ . وإلى كلِّ مكانٍ عدا فلسطينَ . فلسطينُ ما عادت لنا .

فيطرقُ الصغيرُ برهةً ويتعوّد حزمَ حقائبه . لكن امّحاءَ بقعةٍ من الأرض كانت مسقطَ رأس الصبي ، لا من كراسة الجغرافيا ولا من الخريطة بل من الكوكب بأسره ، سيورثُ قلبَ الصبي الوجعَ . فيشبُّ الفتى بقلبٍ لا يكفُّ عن السؤال ولا يبرحه الانفطار . رغم هذا ، وربما بسبب كل هذا ، سيقدرُ أن يحملَ هذا القلبُ الصغيرُ المعلولُ وطنا بأسره . «وطنٌ ينزفُ شعبًا ينزفُ وطنا يصلحُ للنسيان» ، سيحمل هذا القلب المنذور للغربة مسألةً لا تزالُ تعيي العالمَ بحثا ومناورةً واتفاقياتٍ ومراوغةً وضجيجا وضحايا وقصائدَ ودماءً . فيتعلم هذا القلبُ الشعرَ ويعلّمه . ويعرفُ كيف يغدو بقلم أعزلَ مقاتلا خطِرا أبيضَ الكفّين ، يواجه الموتَ مرتين ، ويهزمُ الموتَ مرّتين . فالموتُ جبانٌ إذا ما واجهته . يقول للموتِ مرّةً ومرّة كنْ مهيبا كما يليق بكَ ولا تأخذني من الخلف ، خذني بقوة . لكن الموتَ جبانٌ ، أخذه نائما مخدّرا ، تعب القلبُ المرهقُ من خذلان العدو ومن غياب الوطن ومن قسوة الأصدقاء ، وتعب من سجن القضية ومن سجن القصيدة ومن سجن الهوية ، فاختارَ أن يطيرَ ، بعدما عاش سنواتٍ بعمرِ حزيرانَ المرِّ . إلى أين سيطيرُ القلبُ؟ إلى حيث ريتا ، أينما كانت سيطيرُ إليها كي يستريح فوق قلبها ، آن للقلب المتعب أنْ ينامَ ، فنمْ ملء جفونك ، يا فتى الشعر النبيل ، عن شواردها . عليكَ الشعرُ والسلامُ والحبُّ . عليكَ ، يا درويش ، الحياة .

علي الحجار: لن ينقضي حبنا

لقد غنيت قصائده أمامه في حفل أقيم له بمكتبة الإسكندرية وصفق بمحبة حملها وجهه البشوش ، لقد تحدثنا طويلا في الشعر والعرب وكان في كل كلمة تخرج منه عاشقا كبيرا للوطن وللحياة ، إن درويش ليس مجرد شاعر فذ استطاع أن يحوز كل هذه الجماهيرية العريضة من الخليج

للمحيط بل لكونه إنسانا تستشعر معه ـ حقيقة ـ بعمق جمال الحب والحياة ، إنني أحد متابعيه ومتذوقيه ، وحرصت ولا زلت على قراءة جديده ، رحمه الله سنفقد برحيله لغة صافية عذبة وقلبا يرفرف بالإنسانية . وتعازيّ لكل الشعراء ، لكل فلسطين والفلسطينيين ، تعازيّ للقضية الفلسطينية التي ناضل من أجلها كثيرا .

فنانون ومثقفون عرب
يهاتفون الدستور الأردنية

وأجمع عدد آخر من الفنانين والمثقفين من مجايلي وأصدقاء الشاعر الراحل محمود درويش ، أن رحيله يشكل ضربة قوية للمشروع الفكري التنويري الذي يحمله صاحب «حالة حصار» ، والذي ظل ينادي به منذ خروجه الأول من قرية البروة في الجليل الفلسطيني المحتل .

وأضافوا في حديثهم عبر الهاتف لصحيفة الدستور الأردنية/ محمود الخطيب وعمر أبو الهيجاء- ووكالات ١٣-٠٨-٢٠٠٨

أن فقدانه خسارة أليمه ، وضربة موجعه للقضية الفلسطينية التي حمل لواءها طيلة نصف قرن ويزيد ، كما أشاروا إلى أن القضية الفلسطينية التي مات درويش واقفا مدافعا عنها ، سيبقى في ذاكرتها أبدا ، فسفره مليء بحنوه على تراب أرضه الطهور التي ظل ينادي بها في محافل الشعر الكبرى .

مارسيل خليفة : تمازجت ودرويش بشعره وموسيقاي دون قلق الرجفة الاولى

الفنان والموسيقي مارسيل خليفة (قبل وصوله الى عمان للمشاركة

في تشييع الجثمان) أكد في تصريح مقتضب ، أنه قبل أن يلتقي «درويش» وقبل أن يتعرف أحدهما على الآخر ، كان يحس بأن شعره أنزل إليه ، ليضيف : كل محطات مساري الموسيقي ولثلاثين عاماً ، مملوءة بالإشارات إلى أعمال درويش ، بدءاً بـ «وعود من العاصفة» ، ووصولاً الى «يطير الحمام» التي لم أسجلها للآن ، فلا عجب أن سكنت موسيقاي كلماته وأن ألفت موسيقاي أبياته في تمازج طبيعي دون قلق الرجفة الأولى ، فأنا تعودت أن أحوك كلامه على أوتار عودي ، وإذا أشركت كل آلات الأوركسترا مع كلماته وصوتي خرج ذلك الإنشاد الذي يهز ويواسي ، يحس ويقاوم ، والذي سيبقى حتى في رحيله .

أتذكر حينما غنيت «أحن إلى خبز أمي» كان طعم خبز أمه كطعم خبز أمي ، كذلك أذكر عيني ريتا ، ويقفز لذاكرتي وجع «يوسف» من طعنات إخوته ، حتى جواز سفره ، كان يحمل صورتي أنا وزيتونه .

وختم مارسيل بتنهيدته : محمود ، يا توأم القلب أقولها لك ، مثلما كتبتها لي ، لو في جنة الله شاعر مثلك لكنت صدّقته .

زاهي وهبي : تليق بك الحياة يا محمود

الإعلامي والشاعر اللبناني زاهي وهبي أشار في حديثه لـ «الدستور» من عمان أن رحيل درويش خسارة لا تعوض على المستوى الجماعي والشخصي ، وأضاف : بحكم الصداقة التي جمعتني بدرويش الشاعر ودرويش الشعر ، فشعره هو من مكونات الوعي والوجدان ، ففي سنوات الوعي الأولى تناقلنا شعره في قرانا في الجنوب اللبناني ، فقريتنا لا تبعد عن قرية درويش كثيرا ، ولكن يفصلنا احتلال وعدو لئيم ، وفي تلك

القرية كنا نستعين بدرويش وقصائده على حبيباتنا وعلى خيباتنا وعلى أحلامنا وعلى أوجاعنا .

ويزيد وهبي : كان شعره مرافقا دائما لهذا العمر بكل تحولاته ، وبكل لحظات الفرح والحزن والنشوة والانكسار ، سأظل أقول له : تليق بك الحياة ، وهي عنوان قصيدة لي كتبتها منذ ست سنوات وأهديتها له ، فنحن تعلمنا من درويش أن لا تناقض بين المناضل والنضال من جهة ، وبين الفرح والحياة من جهة أخرى .

وأشار وهبي أن حلقة برنامج خليك بالبيت (بثت مساء أمس على قناة المستقبل) ستعيد بث الحوار الذي أجراه معه في عام ٢٠٠٢ ، الذي يحكي فيه درويش عن سيرته الذاتية .

أحمد قعبور : رحيل درويش تأكيد حسي لكل خساراتنا في قضايا الأوطان

ردة الفعل الأولى للموسيقي أحمد قعبور ، حالما سمع نبأ رحيل درويش ، قوله : للصدفة أنهيت حديثا تلحين قصيدة لمحمود درويش بعنوان «ولهذا أستقيل» ، ومنها : (تعبت الآن ، علقت أساطيري على حبل غسيل ، ولهذا أستقيل) .

وأعتقد أن لا حدود لخسارة محمود درويش ، فرحيله كأنه تأكيد حسي ومادي لكل خساراتنا في قضايا الأوطان ، وعلى رأسها فلسطين وقضايا الإنسان التي نعيشها يوميا . في التاريخ قضايا سقطت ولكن تعبيراتها باقية أبد الدهر . بت أخشى على فلسطين الآن أكثر من أي وقت آخر ، كما أخشى بعد ما يجري في غزة ورام الله على ألا يبقى من قضيتنا الكبرى إلا قصائد محمود درويش .

ووجه قعبور تنهيدة قلبه الى روح درويش قائلا : أتكلم معك الآن وأتذكر ملامح وجهك وأنت تصافحني في المدينة الرياضية في بيروت ، استعدادا للتظاهرة الفنية التي جمعتني بك وبماجدة الرومي في ذكرى الانتفاضة ، وأعتقد في النهاية أن الكثير من الأمهات الفلسطينيات لو باستطاعتهن أن يشددن وثاقه بخيط يلوح في ذيل ثوبهن لفعلن .

ماجدة الرومي : صوت فلسطين أينما ارتحل

السيدة ماجدة الرومي التي علمت بنبأ رحيل فارس فلسطين ، أثناء حفلها في مسرح بيت الدين الأثري في لبنان ، أكدت لـ (الدستور) لم أتمالك نفسي عند سماعي الخبر ، فلملمت شجاعتي وقدمت له أغنية ، لروحه الطاهرة التي سنبدأ من اليوم استحضارها ، والتي ستبقى حاضرة فينا ، فدرويش ترك في نفوسنا وعقولنا أثرا لا يمحى عن تمسكه بالقضية الفلسطينية .

وزادت الرومي : غربة فلسطين ستزداد برحيله ، وغيابه يعني فقدان عنصر رئيسي لتقريب فلسطين وقضيتها من العالم ، إنه روح فلسطين وصوتها . فالتراب لا يعني شيئاً من دون الناس ، نحن كنا نتلمس روح فلسطين من خلال محمود درويش ، وبغيابه سيكون تلمسها أبعد وأصعب . لكنه سيظل حاضراً في شعره وكتبه وإرثه الغني المبدع . ولا خوف على القضية الفلسطينية بعد غيابه ، لأنه ترك في نفوسنا وعقولنا ، من خلال شعره وثقافته وتمسكه بالقضية ، ما هو أقوى من الاحتلال . فالمحتل لا يمكنه مصادرة صوت نقي وروح حرة مثل صوت محمود درويش وروحه .

وختمت : الأشخاص الكبار مثل محمود درويش يقربوننا من الحرية مهما كانت بعيدة عنا .

نصير شمة : من الصعب التخيل بأن الموت انتصر على درويش

بدوره أكد الموسيقار العراقي الكبير نصير شمة أنه عاجز عن الكلام والتعبير عن رحيل قامة من قامات الشعر العربي ، لكنني اليوم (أمس الثلاثاء) دعوت كل مثقفي وأدباء وفناني مصر ومحبي درويش للمشاركة في لقاء صامت لإضاءة الشموع ونثر الورود على روحه في منزل الهراوي في مصر ، حيث أتوقع شخصيا أن يحضر ما لا يقل عن ألف وخمسمائة شخص .

وأضاف شمة : نحن نؤمن بأن الموت حق ، لكننا من الصعب أن نتخيل أن الموت يقدر عليه ، فدوريش أحد القلة التي من الصعب تعويضها ، خاصة مع شاعر لن يتكرر في حياتنا أبدا ، فدرويش استطاع أن يجبر العالم كله على احترامه ، فهو الشاعر الذي نقل معاناة شعبه الى العالم أجمع ، وهو استطاع بشعره أن يتحول الى شاعر كوني بالقيمة العالية التي يقدمها ، فلفت انتباه العالم لمنطقتنا العربية وللقضية الفلسطينية .

سميح شقير : خسارة مشتركة بفقدان المحارب الأشهر عن قضيته

الموسيقي والفنان سميح شقير ، اعتبر رحيل صاحب «مديح الظل العالي» خسارة مشتركة لكل المدافعين عن قضاياهم القومية والمصيرية ، وأضاف : تلقيت خبر رحيل محمود درويش بصدمة الفقدان ، فرحيل درويش ضربة غير متوقعة وغير مهيأ لها اطلاقا ، فمحبو درويش ومتذوقوه كما فلسطين الآن ، بلا صوت ، إذ يغلفهم البكاء الذي يشاركهم فيه تراب الوطن .

وعن تجربته مع قصائد درويش ، قال شقير : قصائد درويش نصوص

شامخة كشموخ الوطن وشموخ القضية ، وتجربتي معه فرصة للأغنية لتعميم هذه النصوص ، وأن تتلاءم مع نص عال كنصوص درويش للمساهمة في نشر دلالات الحدث ، فقصائد درويش التي عملت عليها تلبستني وهي مكتوبة بطريقة انتقادية للحدث الذي تعبر عنه .

أسعد الغريري : درويش الزيتونة السامقة

الشاعر والباحث العراقي أسعد الغريري رأى في وفاة محمود درويش مصابا جللا ، أصاب الأمة العربية والقضية الفلسطينية ، فدرويش «حسب الغريري» مات واقفا وهذا قدره بعد الترحال الطويل ، إذ صحا على الدنيا مرتحلا من قرية البروة في الجليل في السادسة من عمره الى لبنان ، فكان الموت حدا أليما لسنوات ترحاله واغترابه .

وأضاف : آلف درويش بين تألق عواطف نزار قباني وبين انكسارات قلب بدر شاكر السياب ، فدرويش هو الامتداد الحقيقي لهما ، ففي أشعار درويش تحس الواقعية بسائر أبعادها ، وتشعر بالرمزية التي تحلق في فضاءات الخيال موجودة أيضا ، وما بين الواقعية والرمزية في أشعاره هناك خيط رفيع ، كما كان للأحد عشر عاما التي قضاها مسجونا في مراحل متعددة من حياته دورا في تاريخه كشاعر وإنسان في تكوين أثره .

وختم الغريري : درويش سيبقى في ذاكرة كل عربي شريف ، كهرم من أهرامات الشعر العربي ، فهو الزيتونة السامقة التي يستظل بها التاواقون لمعانقة الوطن .

الشاعر لامع الحر : مات درويش عملاقاً

الشاعر اللبناني لامع الحر تحدث عن مكانة درويش وغيابه المفاجىء

فقال : غاب محمود درويش لا . . لكي يغيب ، بل ليحضر قهوة الصباح ويتنشق رائحة البن ويعد قصيدة أخرى تليق بالمناسبة . غاب كأن القمر في خسوفه المريب يذر عيون الشعر ، وبانتهاء زمن يسوده الحب والإبداع والجمال ، هنا تأخذ الجنازة بعد خرائبيا يطيح بالوقت ويمرغ الجبين بنار الحزن الذي لا يريح صغيراً أو كبيراً . لقد مات درويش عملاقاً حاز على ما لم يحزه شاعر عربي ، لقد كان هامة لم يصل إليها قلة نادرة في الشعر العربي ، ليس من السهولة بمكان الجمع بين الجمالية والجماهيرية في زمن أمسى الشعر فيه محبطاً ومعزولاً ، وكأن الشاعر يقرأ لنفسه أو لأبناء «الشلة» فقط .

ربما استطاع درويش وحده أن يصهر الحداثة بأبهى تجلياتها بسلاسة الوصول إلى الآخر دون عوائق فنية ، وكأنه القادر على الجمع بين الماء والنار في سلة واحدة .

ربما هناك شعراء كثيرون طحنهم النسيان بعد رحيلهم ، لكن درويش سيكون الأكثر حضوراً بعد الغياب .

الشاعرة معينة عبود : لقد نثر درويش عبق الشعر في العالم

الشاعرة السورية معينة عبود قالت في رحيل درويش وعن جنازته التي ستظل اليوم جنازتهأأراها ستكون تظاهرة وطنية كبيرة تليق بمقام شاعر أفنى حياته في النضال والسعي في قصائده إلى العالم وإبراز قضيته الفلسطينية ، لقد نثر درويش عبق الشعر في العالم وحاز على شاعر الإنسانية بامتياز ، سوف نشيع اليوم نحن معشر الشعراء الأيتام بعد درويش إنساناً اخترق ثنايا الإنسان وعبر عن مشاعرهم بصوت مقاوم ومرهف .

في غايبه أرى أنه قد غاب عنا بجسده إلا أن روحه تحلق وشعره ماثل

بيننا ، وروحه تغفو بين عبق كلماته وأشعاره وإنسانيته العظيمة .

لقد أحسست بانكسار داخلي في نفسي حينما جاءني نبأ رحيله ، ولم أتخيل بأن الكبار أمثال درويش وغيره ينال منهم غول الموت ، لكنها سنة الحياة إننا زوار على هذه الأرض الممتدة فينا بأصوات أمثاله .

رحم الله درويش وعزاؤنا الوحيد أن آثاره الإبداعية لن تموت على مرّ الزمان ، أتوقع جنازة كونية تليق بهذا العملاق الشعري الكبير .

الشاعر عبد الكريم أبو الشيح : درويش ذهب بفلسطين نحو بعدها الإنساني

الشاعر عبد الكريم أبو الشيح قال :بالنسبة لهذا الحدث فهو حدث مفصلي بتاريخ الشعر العربي إذ نؤبن فيه سنديانة شامخة من سنديانات الشعر العربي ، ذلك أن درويش يمثل حالة متفردة في المشهد الشعري العربي والعالمي بشهادة نقاد عرب وغربيين .

محمود درويش مات جسداً ولكنه بكل تأكيد هو حيّ وهو نسغ سيروي مراحل قادمة كثيرة .

ونحن نشيعه اليوم فإننا نتفطر حزناً وألما لفراق هذا العظيم الذي استطاع أن يوصل القضية العربية الفلسطينية إلى بعدها الإنساني الحقيقي ، لا نقول بأن محمود درويش قد رحل عنا بمقدار أنه اختزن في كل واحد منا ، وستبقى أشعاره ماثلة فينا ، وسنكمل كما أرجو المشهد الشعري العربي الذي حلم به دائما .

الشاعر ناصر شبانة : سيظل أثره في الشعر العربي معلماً واضحاً

الشاعر د . ناصر شبانة أشار إلى الحدث الجلل لوفاة محمود درويش

وعن رؤيته لجنازته فقال : نحن نشعر بحزن عميق وأسى بالغ لهذا الرحيل المبكر لشاعر ملأ الدنيا وشغل الناس ، وقلوبنا ترتجف ونحن ننظر الى سماء عمان مترقبين عبور جثمان الشاعر إلى حيث يوارى الثرى الذي أحب ، وإن كنا نودع الشاعر جسداً أخذه الموت على حين غرة ، فإننا سنظل نحتضن روحه الدافئة بين جوانحنا ، وستظل ألسنتنا رطبة بأشعاره وقصائده التي عبرت عن همّ الوطن والإنسان .

الفصل الخامس

سميح القاسم يرثي صديقه محمود درويش

خص الشاعر الفلسطيني سميح القاسم صديقه ورفيق دربه المرحوم درويش بقصيدة رثاء نشرت يوم الثلاثاء ١٢ / ٠٨ / ٢٠٠٨ في الغد الأردنية وعدة صحف ومواقع إعلامية أخرى .

إلى محمود درويش

سميح القاسم

تَخلَّيتَ عن وِزرِ حُزني
ووزرِ حياتي
وحَمَّلتَني وزرَ مَوتِكَ ،
أنتَ تركْتَ الحصانَ وَحيداً . . لماذا؟
وآثَرْتَ صَهوةَ مَوتكَ أُفقاً ،
وآثَرتَ حُزني مَلاذا
أجبني . أجبني . . لماذا؟

***

عَصَافيرُنا يا صَديقي تطيرُ بِلا أَجنحهْ
وأَحلامُنا يا رَفيقي تَطيرُ بِلا مِرْوَحَهْ
تَطيرُ على شَرَكِ الماءِ والنَّار . والنَّارِ والماء .
مَا مِن مكانٍ تحطُّ عليه . . سوى المَذبَحَهْ
وتَنسى مناقيرَها في تُرابِ القُبورِ الجماعيَّةِ . . الحَبُّ والحُبُّ
أَرضٌ مُحَرَّمَةٌ يا صَديقي
وتَنفَرِطُ المسْبَحَهْ
هو الخوفُ والموتُ في الخوفِ . والأمنُ في الموتِ
لا أمْنَ في مجلِسِ الأَمنِ يا صاحبي . مجلسُ الأمنِ
أرضٌ مُحايدَةٌ يا رفيقي
ونحنُ عذابُ الدروبِ
وسخطُ الجِهاتِ
ونحنُ غُبارُ الشُّعوبِ
وعَجْزُ اللُّغاتِ
وبَعضُ الصَّلاةْ
على مَا يُتاحُ مِنَ الأَضرِحَهْ
وفي الموتِ تكبُرُ أرتالُ إخوتنا الطارئينْ
وأعدائنا الطارئينْ
ويزدَحِمُ الطقسُ بالمترَفين الذينْ
يُحبّونَنا مَيِّتينْ
ولكنْ يُحبُّونَنَا يا صديقي
بِكُلِّ الشُّكُوك وكُلِّ اليَقينْ
وهاجَرْتَ حُزناً . إلى باطلِ الحقِّ هاجَرْتَ

مِن باطلٍ الباطِلِ
ومِن بابلٍ بابلٍ
إلى بابلٍ بابلِ
ومِن تافهٍ قاتلٍ
إلى تافهٍ جاهِلِ
ومِن مُجرمٍ غاصِبٍ
إلى مُتخَمٍ قاتلِ
ومِن مفترٍ سافلٍ
إلى مُدَّعٍ فاشِلِ
ومِن زائلٍ زائلٍ
إلى زائلٍ زائلِ
وماذا وَجَدْتَ هُناكْ
سوى مَا سِوايَ
وماذا وَجَدْتَ
سوى مَا سِواكْ؟
أَخي دَعْكَ مِن هذه المسألَهْ
تُحبُّ أخي . . وأُحبُّ أَخاكْ
وأَنتَ رَحَلْتَ . رَحَلْتَ .
ولم أبْقَ كالسَّيفِ فرداً . وما أنا سَيفٌ ولا سُنبُلَهْ
وَلا وَردةٌ في يَميني . . وَلا قُنبُلَهْ
لأنّي قَدمْتُ إلى الأرضِ قبلكَ ،
صِرْتُ بما قَدَّرَ اللهُ . صِرْتُ
أنا أوّلَ الأسئلَهْ

إذنْ . . فَلْتَكُنْ خاتَمَ الأسئلَهْ
لَعَلَّ الإجاباتِ تَستَصْغرُ المشكلَهْ
وَتَستَدْرِجُ البدءَ بالبَسمَلَهْ
إلى أوَّلِ النّورِ في نَفَقِ المعضِلَهْ . .

***

تَخَفَّيْتَ بِالموتِ ،
تكتيكُنا لم يُطعْ إستراتيجيا انتظارِ العَجَائِبْ
ومَا مِن جيوشٍ . ومَا مِن زُحوفٍ . ومَا مِن حُشودٍ .
ومَا مِن صُفوفٍ . ومَا مِن سَرايا . ومَا مِن كَتائبْ
ومَا مِن جِوارٍ . ومَا مِن حِوارٍ . ومَا مِن دِيارٍ .
ومَا مِن أقاربْ
تَخَفَّيْتَ بِالمَوْتِ . لكنْ تَجَلَّى لِكُلِّ الخلائقِ
زَحْفُ العَقَاربْ
يُحاصِرُ أكْفانَنا يا رفيقي ويَغْزو المضَارِبَ تِلْوَ المضارِبْ
ونحنُ مِنَ البَدْوِ . كُنّا بثوبٍ مِنَ الخيشِ . صِرنا
بربطَةِ عُنْقٍ . مِنَ البَدْوِ كُنّا وصِرنا .
وذُبيانُ تَغزو . وعَبْسٌ تُحارِبْ .

***

وهَا هُنَّ يا صاحبي دُونَ بابِكْ
عجائزُ زوربا تَزَاحَمْنَ فَوقَ عَذابِكْ
تَدَافَعْنَ فَحماً وشَمعاً

تَشَمَّمْنَ مَوتَكَ قَبل مُعايشَةَ الموتِ فيكَ
وفَتَّشْنَ بينَ ثيابي وبينَ ثيابِكْ
عنِ الثَّروةِ الممكنهْ
عنِ السرِّ . سرِّ القصيدَهْ
وسرِّ العَقيدَهْ
وأوجاعِها المزمِنَهْ
وسرِّ حُضورِكَ ملءَ ثيابِكْ
وفَتَّشْنَ عمَّا تقولُ الوصيَّهْ
فَهَلْ من وَصيَّهْ؟
جُموعٌ دُخانٍ وقَشٌ تُجَلجِلُ في ساحَةِ الموتِ :
أينَ الوصيَّهْ؟
نُريدُ الوصيَّهْ!
ومَا أنتَ كسرى . ولا أنتَ قيصَرْ
لأنَّكَ أعلى وأغلى وأكبَرْ
وأنتَ الوصيَّهْ
وسرُّ القضيَّهْ
ولكنَّها الجاهليَّهْ
أجلْ يا أخي في عَذابي
وفي محْنَتي واغترابي
أتسمَعُني؟ إنَّها الجاهليَّهْ
وَلا شيءَ فيها أَقَلُّ كَثيراً سوى الوَرْدِ ،
والشَّوكُ أَقسى كَثيراً . وأَعتى كَثيراً . وَأكثَرْ
ألا إنَّها يا أخي الجاهليَّهْ

وَلا جلفَ منَّا يُطيقُ سَماعَ الوَصيَّهْ
وَأنتَ الوَصيَّةُ . أنتَ الوَصيَّةُ
واللهُ أكبَرْ . .

***

سَتذكرُ . لَو قَدَّرَ الله أنْ تَذكُرا
وتَذكُرُ لَو شئْتَ أنْ تَذكُرا
قرأْنا امرأَ القَيسِ في هاجِسِ الموتِ ،
نحنُ قرأْنا مَعاً حُزنَ لوركا
وَلاميّةَ الشّنفرى
وسُخطَ نيرودا وسِحرَ أراغون
ومُعجزَةَ المتنبّي ،
أَلَمْ يصهَرِ الدَّهرَ قافيةً . . والرَّدَى منبرا
قرأْنا مَعاً خَوفَ ناظم حِكمَت
وشوقَ -أتاتورك- . هذا الحقيقيّ
شَوقَ أخينا الشّقيّ المشَرَّدْ
لأُمِّ محمَّدْ
وطفلِ العَذابِ -محمَّد-
وسجنِ البلادِ المؤبَّدْ
قرأْنا مَعاً مَا كَتَبنا مَعاً وكَتَبنا
لبِروَتنا السّالفَهْ
وَرامَتنا الخائفَهْ
وَعكّا وحيفا وعمّان والنّاصرَهْ

لبيروتَ والشّام والقاهِرَهْ
وللأُمَّة الصَّابرَهْ
وللثورَةِ الزَّاحفَهْ
وَلا شَيءَ . لا شَيءَ إلاّ تَعاويذ أحلامِنا النَّازفَهْ
وساعاتنا الواقفَهْ
وأشلاءَ أوجاعِنا الثَّائِرَهْ

***

وَمِن كُلِّ قلبكَ أنتَ كَتبتُ
وَأنتَ كَتبتَ . . ومِن كُلِّ قلبي
كَتَبْنا لشعْبٍ بأرض . . وأرضٍ بشعبِ
كَتَبْنا بحُبٍّ . . لحُبٍّ
وتعلَمُ أنَّا كَرِهْنا الكراهيّةَ الشَّاحبَهْ
كَرِهْنا الغُزاةَ الطُّغاةَ ،
وَلا . . ما كَرِهْنا اليهودَ ولا الإنجليزَ ،
وَلا أيَّ شَعبٍ عَدُو . . ولا أيَّ شَعبٍ صديقٍ ،
كَرِهْنا زبانيةَ الدولِ الكاذبَهْ

وَقُطعانَ أوْباشِها السَّائبَهْ
كَرِهْنا جنازيرَ دبَّابَةٍ غاصِبَهْ
وأجنحَةَ الطائراتِ المُغيرَةِ والقُوَّةَ الضَّاربَهْ
كَرِهْنا سَوَاطيرَ جُدرانِهِم في عِظام الرِّقابِ
وأوتادَهُم في الترابِ وَرَاءَ الترابِ وَرَاءَ الترابِ

يقولونَ للجوِّ والبَرِّ إنّا نُحاولُ للبحْرِ إلقاءَهُم ،
يكذبُونْ
وهُم يضحكُونَ بُكاءً مَريراً وَيستعطفونْ
ويلقونَنَا للسَّرابِ
ويلقونَنَا للأفاعِي
ويلقونَنَا للذّئابِ
ويلقونَنَا في الخرابِ
ويلقونَنا في ضَياعِ الضَّياع
وتَعلَمُ يا صاحبي . أنتَ تَعلَمْ
بأنَّ جَهَنَّم مَلَّتْ جَهَنَّمْ
وعَافَتْ جَهَنَّمْ
لماذا تموتُ إذاً . ولماذا أعيشُ إذاً . ولماذا
نموتُ . نعيشُ . نموتُ . نموتُ
على هيئَةِ الأُمِ السَّاخِرهْ
وَعُهْرِ ملفَّاتِها الفاجِرَهْ
لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ . .
ومَا كُلُّ هذا الدَّمار وهذا السقوط وهذا العذاب
ومَا كلُّ هذا؟ وهذا؟ وهذا؟

***

تذكَّرْ
وقدْ يُسعِفُ اللهُ مَيْتاً بأنْ يتذكَّرَ . لله نحنُ .
فحاول إذن . . وتذكَّرْ

تذكَّرْ رضا الوالِدَهْ
لأُمَّينِ في واحِدَهْ
ونعمةَ كُبَّتِها . . زينة المائدَهْ
وطُهرَ الرَّغيفِ المقمَّرْ
تذكَّرْ
أباً لا يُجيدُ الصِّياحْ
ولا يتذمَّرْ
تذكَّرْ
أباً لا يضيقُ ولا يتأفَّفُ مِن سَهَرٍ صاحِبٍ للصَّباحْ
تذكَّرْ كَثيراً . ولا تتذكَّرْ
كَثيراً . فبعضُ الحِكاياتِ سُكَّرْ
وكُلُّ الخرافاتِ سُمٌّ مُقَطَّرْ
ونحنُ ضَحايا الخرافاتِ . نحنُ ضَحايا نبوخذ نصّرْ
وأيتام هتلَرْ
ومِن دَمِنا للطُّغاةِ نبيذٌ
ومِن لَحمِنا للغُزاةِ أكاليلُ غارٍ وورْدٍ
ومِسْكٌ . وَعَنبَرْ
فَلا تتذكَّرْ

قيوداً وسجناً وعسكَرْ
وبيتاً مُدَمَّرْ
وَليلاً طَويلاً . وَقَهراً ثقيلاً وسَطواً تكرَّرْ
وَلا تتذكَّرْ

لا تتذكَّرْ
لا تتذكَّرْ . .

***

لأنّا صديقانِ في الأرضِ والشّعبِ والعُمرِ والشِّعرِ ،
نحنُ صريحانِ في الحبِّ والموتِ . . يوماً غَضِبْتُ عليكَ . .
ويوماً غَضِبْتَ عَلَيّ
وَمَا كانَ شَيءٌ لدَيكَ . وَمَا كانَ شَيءٌ لَدَيّ
سِوَى أنّنا مِن تُرابٍ عَصِيّ
وَدَمْع سَخيّ
نَهاراً كَتَبْتُ إليكَ . وَليلاً كَتَبْتَ إليّ
وأعيادُ ميلادِنا طالما أنذَرَتْنا بسرٍّ خَفِيّ
وَمَوت قريب . . وَحُلم قَصِيّ
ويومَ احتَفَلْتَ بخمسينَ عاماً مِنَ العُمرِ ،
عُمرِ الشَّريد الشَّقيّ البَقيّ
ضَحِكنا مَعاً وَبَكَيْنا مَعاً حينَ غنَّى وصلّى
يُعايدُكَ الصَّاحبُ الرَّبَذيّ :
على وَرَقِ السنديانْ
وُلِدْنا صباحاً
لأُمِّ الندى وأبِ الزّعفرانْ

ومتنا مساءً بِلا أبوَينِ . . على بَحرِ غُربتِنا
في زَوارِقَ مِن وَرَقِ السيلوفانْ

على وَرَق البَحرِ . لَيلاً .
كَتَبْنا نشَيدَ الغَرَقْ
وَعُدْنا احتَرَقْنا بِنارِ مَطالِعِنا
والنّشيدُ احتَرَقْ
بنارِ مَدَامعِنا
والوَرَقْ
يطيرُ بأجْنحَةٍ مِن دُخانْ
وهَا نحنُ يا صَاحبي . صَفحَتانْ
وَوَجهٌ قديمٌ يُقَلِّبُنا مِن جديد
على صَفَحاتِ كتابِ القَلَقْ
وهَا نحنُ . لا نحنُ . مَيْتٌ وَحَيٌّ . وَحَيٌّ وَمَيْتْ
بَكَى صاحبي ،
على سَطحِ غُربَتِهِ مُستَغيثاً
بَكَى صاحبي . .
وَبَكَى . . وَبَكَيْتْ
على سَطحِ بَيْتْ
ألا ليتَ لَيتْ
ويا ليتَ لَيتْ
وُلِدنا ومتنا على وَرَقِ السندِيانْ . .

***

ويوماً كَتَبْتُ إليكَ . ويوماً كَتَبْتَ إليّ
أُسميكَ نرجسةً حَولَ قلبي . .

وقلبُكَ أرضي وأهلي وشعبي
وقلبُكَ . . قلبي . .

***

يقولونَ موتُكَ كانَ غريباً . . ووجهُ الغَرابَةِ أنّكَ عِشْتَ
وأنّي أعيشُ . وأنّا نَعيشُ . وتعلَمُ . تَعلَمُ أنّا
حُكِمْنا بموت سريع يمُرُّ ببُطء
وتَعلَمُ تَعْلَمُ أنّا اجترَحْنا الحياةَ
على خطأ مَطْبَعِيّ
وتَعلَمُ أنّا تأجّلَ إعدامُنا ألف مَرَّهْ
لِسَكْرَة جَلاّدنا تِلْوَ سَكْرهْ
ولله مَجْدُ الأعالي . ونصلُ السَّلام الكلام على الأرضِ . .
والناسُ فيهم ـ سِوانا ـ المسَرَّهْ
أنحنُ مِن الناسِ؟ هل نحنُ حقاً مِن الناسِ؟
مَن نحنُ حقاً؟ ومَن نحنُ حَقاً؟ سألْنا لأوّلِ مَرَّهْ
وَآخرِ مَرَّهْ
وَلا يَستَقيمُ السّؤالُ لكي يستَقيمَ الجوابُ . وها نحنُ

نَمكُثُ في حَسْرَة بعدَ حَسْرَهْ
وكُلُّ غَريب يعيشُ على ألف حَيْرَهْ
ويحملُ كُلُّ قَتيلٍ على الظَّهرِ قَبرَهْ
ويَسبُرُ غَوْرَ الجرَّةِ . . يَسبُرُ غَوْرَ الجرَّهْ . .

***

تُعانقُني أُمُّنا . أُمُّ أحمدَ . في جَزَعٍ مُرهَقٍ بعذابِ
السِّنينْ
وعبء الحنينْ
وَتَفْتَحُ كَفَّينِ واهنَتَين موبِّختَين . وَتَسأَلُ صارخةً
دُونَ صَوتٍ . وتسألُ أينَ أخوكَ؟ أجِبْ . لا تُخبِّئ عَلَيَّ .
أجبْ أينَ محمودُ؟ أينَ أخوكَ؟
تُزلزِلُني أُمُّنا بالسّؤال؟ فماذا أقولُ لَهَا؟
هَلْ أقولُ مَضَى في الصَّباحِ ليأْخُذَ قهوَتَهُ بالحليبِ
على سحرِ أرصفَةِ الشانزيليزيه . أمْ أدَّعي
أنّكَ الآن في جَلسَة طارئَهْ
وَهَلْ أدَّعي أنَّكَ الآنَ في سَهرَةٍ هادئَهْ
وَهَلْ أُتْقِنُ الزَّعْمَ أنّكَ في موعدٍ للغَرَامِ ،
تُقابلُ كاتبةً لاجئَهْ
وَهَلْ ستُصَدِّقُ أنّكَ تُلقي قصائدَكَ الآنَ
في صالَة دافئَهْ
بأنفاسِ ألفَينِ من مُعجَبيكَ . . وكيفَ أقولُ
أخي راحَ يا أُمَّنا ليَرَى بارئَهْ . .
أخي راحَ يا أُمَّنا والتقى بارِئَهْ . .

***

إذنْ . أنتَ مُرتَحِلٌ عن ديارِ الأحبَّةِ . لا بأسَ .
هَا أنتَ مُرتَحِلٌ لديارِ الأحبَّةِ . سَلِّمْ عَلَيهِم :
راشد حسين

فدوى طوقان

توفيق زيّاد

إميل توما

مُعين بسيسو

عصام العباسي

ياسر عرفات

إميل حبيبي

الشيخ إمام

أحمد ياسين

سعدالله ونُوس

كاتب ياسين

جورج حبش

نجيب محفوظ

أبو علي مصطفى

يوسف حنا

ممدوح عدوان

خليل الوزير

نزيه خير

رفائيل ألبرتي

ناجي العلي

إسماعيل شمُّوط

بلند الحيدري

محمد مهدي الجواهري

يانيس ريتسوس
ألكسندر بن
يوسف شاهين
يوسف إدريس
سهيل إدريس
رجاء النقاش
عبد الوهاب البياتي
غسَّان كنفاني
نزار قباني
كَفاني . كَفاني . وكُثرٌ سِواهم . وكُثرٌ فسلِّم عليهم . وسَوفَ
تُقابِلُ في جَنَّةِ الخُلد -سامي- . أخانا الجميلَ الأصيلَ .
وَهلْ يعزِفونَ على العُودِ في جَنَّةِ الخُلْدِ؟ أَحبَبْتَ
سامي مَع العودِ في قَعدَةِ -العَينِ- . . سامي مَضَى
وَهْوَ في مِثلِ عُمرِكَ . . (٦٧) . . لا . لا أُطيقُ العَدَدْ
وأنتُمْ أبَدْ
يضُمُّ الأبَدْ
ويَمْحُو الأبَدْ
وَأَعلَمُ . سوفَ تَعودونَ . ذاتَ صباحٍ جديدٍ تعودُونَ
للدَّار والجار والقدس والشمس . سَوفَ تَعودونَ .
حَياً تعودُ . وَمَيْتاً تَعودُ . وسَوفَ تَعودون . مَا مِن كَفَنْ
يَليقُ بِنا غيرَ دَمعَةِ أُمٍّ تبلُّ تُرابَ الوَطَنْ
ومَا مِن بِلادٍ تَليقُ بِنا ونَليقُ بِها غير هذي البلادْ
ويوم المعادِ قريبٌ كيومِ المعادْ

وحُلم المغنّي كِفاحٌ
وموتُ المغنّي جهادُ الجِهادْ . .

***

إذاً أنتَ مُرتحلٌ عَن دِيارِ الأحِبَّةِ
في زَّوْرَقِ للنجاةِ . على سَطْحِ بحرٍ
أُسمّيهِ ياً صاحبي أَدْمُعَكْ
وَلولا اعتصامي بحبلٍ مِن الله يدنو سريعاً . ولكنْ ببطءٍ . .
لكُنتُ زَجَرْتُكَ : خُذني مَعَكْ
وخُذني مَعَكْ
خُذني مَعَكْ . .

الفصل السادس

درويش في الفضاء الأممي
من دوفيلبان الى إيران

تمتد مساحة درويش أيضا إلى الفضاء الأممي حيث تفاعل الأدباء والشعراء في مختلف دول العالم مع الحدث- الموت الصادم، نقدم فيما يلي ملخصا مكثفا لأهم الفعاليات والكلمات :

دوفيلبان- درويش أحد الأصوات الرائعة في الشعر الحديث

بعد منتصف الليل تلقى دومونيك دوفيلبان ، رئيس وزراء فرنسا الأسبق ، اتصالا هاتفيا من قصر الأليزيه لسؤاله عن إمكانية التوجه الى مدينة رام الله لتمثيل الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي شخصيا وفرنسا في جنازة الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش ، فما كان من دوفيلبان إلا أن وافق فورا ليسجل التاريخ أنه الشخصية الأجنبية الوحيدة التي أتت من الخارج للمشاركة في هذه الجنازة .

دوفيلبان ، الذي تربطه علاقة شخصية مع درويش ، قال ردا على سؤال لـ «الأيام الفلسطينية» بهذا الشأن ، في لقاء مقلص مع صحافيين فلسطينيين : «لم يكن من السهل القدوم أخذاً بعين الاعتبار الفترة الزمنية القصيرة ، وبالتأكيد عندما هاتفوني من قصر الأليزيه وسألوني إذا ما كنت قادرا على القدوم كان جوابي : نعم في أي وقت ، وقد أرسلوا لي طائرة في

منتصف الليل لأنني أعتقد أنه من المهم إبداء التقدير لهذا المبدع الكبير، وأعتقد أن شخصا مثل درويش كان قادرا على منح الأمل لقسم مهم من الإنسانية من خلال الكلمات، وللإظهار بطريقة ما أنه من خلال الكلمات وروحية معينة، يمكنك إيجاد طريقك الخاص، ومهما حدث وأيا كانت المعاناة التي تواجهها فإن بإمكانك ابتكار لغة جديدة وكلمات جديدة، ومحاولة تحديد عالم أفضل، ولذا أعتقد أنه كان من ضمن الأشخاص الذين كانوا قادرين على الابتكار بطريقة تجعل من المهم جدا الاعتراف بهؤلاء الأشخاص، والتأكيد على أنهم حقا يوضحون الطريق لنا جميعا، لذا أعتقد أنهم في المقدمة يظهرون الطريق للمجتمع الدولي، ونحن في أمس الحاجة لهذا النوع من الأصوات التي كانت قادرة على تحديد مسار جديد».

وأضاف: «بطبيعة الحال فانني أقر أن درويش ووجه بالكثير من التحقيقات والأسئلة، ولكن في نهاية الأمر فإن ما منحنا إياه هو القدرة على إيجاد طريق جديد، وبالنسبة لي فإن هذه هي الرسالة الأقوى».

وقال: إنه شخص معروف ومحبوب جدا من قبل الشعب الفرنسي، الذي يقر بأنه أحد الأصوات الرائعة في الشعر الحديث، وهو ممثل عظيم لفلسطين، وللمعاناة والأمل وتاريخ شعب هذا البلد، وهو أيضا الرجل الذي كان بإمكانه الحديث مع أي رجل يعرف المعاناة والأمل، ولذا فهو حقا كان رجلا، شعره بالتأكيد عالمي وأعتقد أنه مع أشخاص مثل أدونيس والأصوات ذائعة الصيت الأخرى فإنه بالتأكيد أحد الأصوات الأساسية في العالم العربي والشعر الحديث».

(عن سما الأخبارية والأيام الفلسطينية ووكالات١٥/٨/٢٠٠٨)

حزن بريطاني على رحيل درويش

ولم يقتصر الحزن على رحيل الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش على الشارع الفلسطيني أو العربي فحسب ، بل امتد ليشمل مثقفين وشعراء من مختلف أنحاء العالم استطاع درويش أن يصل إليهم بشعره ، الذي عبر فيه بحس إنساني عال عن قضية شعبه وهمه الوطني ، بشكل أكسبه احتراما وشعبية لدى شعوب لا تجيد الحديث بالعربية .

وقد عبرت الشاعرة الإنجليزية جودي كزندايس عن حزنها وأسفها لوفاة «الشاعر الكبير» الذي قالت عنه إنها عرفته عن طريق شعره .

وحسب كزندايس فإن درويش عاش بسبب أشعاره حياة مليئة بالبؤس والقهر بفعل الاحتلال الإسرائيلي ،حيث عاش في المنفى سنوات طويلة ، وحتى عندما عاد ليعيش على أرض فلسطين فإن الاحتلال أصر على قهره وهو يرى مكتبه يقصف في رام الله وأوراقه تنهب .

وأضافت كزندايس : «عرفناه لأنه صاحب أسلوب كلاسيكي عبر قصائده المباشرة بما لا يقبل الجدل ، واستطاع أن يمثل الواقع في فلسطين ، وأن يعكس حجم الظلم الواقع على ملايين الفلسطينيين بفعل قوات الاحتلال» .

وقالت إن قصائد درويش ترجمت إلى اللغة الإنجليزية ، بعد أن بدأت شهرته تمتد إلى إنحاء واسعة بالعالم ، مشيرة إلى أن من بين الذين تولوا هذه الترجمة الشاعرة الأميركية كارولين فروشي .

ومن وجهة نظرها رأت الشاعرة الإنجليزية أن مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال والظلم ، استطاعت أن تجعل من درويش «شاعرا كبيرا على مستوى العالم بامتياز» .

بدورها عبرت الناشطة البريطانية آن هالان عن حزنها الشديد لغياب

شاعر الثورة و«الجماهير المعذبة» ،

وقالت : «إن الشعب الفلسطيني خسر في مدة زمنية قصيرة علمين بارزين هما درويش والمفكر السياسي إدوارد سعيد» .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد عبرت لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس عن حزنها بوفاة درويش ، في حين اتخذت الجالية الفلسطينية في بريطانيا قرارا بإقامة حفل تأبين لدرويش في السابع من أكتوبر/تشرين الأول القادم .

(الجزيرة نت- الخميس ٢٠٠٨/٨/١٤)

مقالات نعي بريطانية للشاعر الكبير

كما نشرت كبريات الصحف البريطانية مقالات نعي كبيرة لشاعر فلسطين والعرب الكبير محمود درويش ، فكتبت «ذي غارديان(٢٠٠٨/٨/١٠)» عن درويش أنه «شاعر وكاتب وسياسي ساعد في خلق الوعي الفلسطيني في أعقاب حرب الأيام الستة في ١٩٦٧» . واستعرض كاتب النعي بيتر كلارك مراحل حياة درويش الشعرية مكانياً وفناً وزمنياً ، منذ بواكير حياته الى مماته ، مستشهداً بمقطوعات من بعض أشهر قصائده ومقطوعات نثره ، ومن بينها ما كتبه عن سيطرة حركة «حماس» بالقوة على قطاع غزة (ما ترجمته) : «غزة نالت استقلالها عن الضفة الغربية ، الشعب الواحد صار الآن دولتين . . . سجنين لا يبادل أي منهما الآخر التحية ، ونحن نرتدي ملابس الجلاد» .

وفي الصحيفة نفسها كتبت أيضاً الناقدة الأدبية مارغريت أوبانك : «كان محمود شخصاً علمانياً تماماً ، فلسفياً ، وقارئاً نهماً ، أنيقاً في ملبسه ، وجم التواضع في رأيه وفي نفسه . كان يحب أن يكون وحده ، لكنه كان

دائماً مستعداً أن يتكلم عبر الهاتف» . واستشهدت بجزء من كلمته التي ألقاها في مناسبة فوزه بجائزة صندوق الأمير كلاوسالكبرى في امستردام عام ٢٠٠٤ إذ قال : «ليس بوسع الإنسان إلا أن يولد في مكان واحد ، غير أن من الممكن أن يموت مرات عدة في أماكن أخرى : في المنافي والسجون وفي وطن حوّله الاحتلال والظلم كابوساً ، ربما كان الشعر هو ما يعلمنا كيف نولد ثانيةً من أنفسنا ، مرة تلو مرة ، وكيف نستخدم الكلمات لنبني عالماً افضل ، عالماً خيالياً يمكننا من أن نوقع اتفاقاً لسلام دائم وشامل . . . مع الحياة» .

ونقل سعيد غزالي في النعي الذي نشرته صحيفة «ذي اندبندنت» عن المحرر الأدبي الفلسطيني إياد الرجوب قوله عن محمود : «كانت هناك هالة حوله دائماً في مخيلتي إلى أن التقيته عام ١٩٩٦ . لم يعد شاعر المقاومة ، كان رقيقاً ، وكان يحيا حياة مترفة . لم أستطع أن أتصور أنه كان من كتب «سجل أنا عربي» .

أمسية في واشنطن تخليدا لذكرى الشاعر الكبير محمود درويش

وفي واشنطن أشاد نخبة من الكتاب والشعراء والأدباء المقيمين في الولايات المتحدة الأميركية ، بإرث الشاعر الكبير الراحل محمود درويش ، وعبر العشرات منهم ، خلال أمسية أقيمت لتأبين الشاعر الراحل نظمها المركز الفلسطيني في العاصمة الأميركية واشنطن ، والمنبثق عن «صندوق القدس» ، عن ألمهم لرحيل هذا المناضل الكبير .

كما شارك في الأمسية عدد كبير من أبناء الجاليتين العربية والفلسطينية ، ومن الأجانب الذين استذكروا مواقف درويش المشرفة وقصائده الوطنية المعبرة .

وتحدث في الأمسية الباحث خليل جهشان ، الذي أشار إلى الدور الهام والتاريخي الذي لعبه درويش ليس فقط كشاعر ، وإنما أيضا في بلورة القضية الفلسطينية خصوصا في المراحل الأولى من الحركة الوطنية الفلسطينية .

واستعرض الكاتب والروائي الدكتور حليم بركات ما ميز شعر محمود درويش ، ومدى التزامه فلسطينيا وعربيا ، وتطرق إلى التشرد والمنفى في شعره .

كما تحدث الكاتب الدكتور فوزي الأسمر ، والذي كانت تربطه معرفة وصداقة شخصية مع محمود عندما كانا في حيفا وبعد خروجهما من الوطن ، وأشار إلى بعض مزايا محمود الشخصية ، والتي لا يعرفها إلا بعض المقربين منه ، وكذلك عن مولد قصيدته « سجل أنا عربي» .

وقد ألقى المعلق الصحفي جورج حشمه عضو مجلس إدارة صندوق القدس والذي كان عريفا للأمسية كلمة رثاء مؤثرة .

(واشنطن – وفا-١٥/٨/٢٠٠٨)

أدباء إيرانيون
درويش كان لغة وعشقا

«الموت يسكت صوت درويش إلى الأبد» ، «الموت يغيب شاعر فلسطين الأبرز» ، «رحيل شاعر العصافير والفراشات المقاومة» ، «درويش تلا قصيدته الأخيرة ورحل» ، و«موت درويش يلبس فلسطين السواد» ، هذه مجموعة من عناوين كثيرة حملتها الصحف والمواقع الإخبارية الإيرانية ، في متابعة واسعة لرحيل الشاعر الفلسطيني محمود درويش .

وتحظى قصائد درويش باستقبال كبير في الأوساط الأدبية الإيرانية ، وتدرس أشعاره في الجامعات نموذجا لشعر المقاومة والشعر العربي الحديث .

كتب ومقالات

ووفقا لسجلات المكتبة الوطنية الإيرانية هناك عشرة دواوين للشاعر الراحل ترجمت إلى الفارسية هي :

* آخر الليل .
* خارج الأساطير .
* القطار الأخير .
* أوراق الزيتون .
* العصافير تموت في الجليل .
* غصن الورد .

* المزامير .
* يوميات الحزن العادي .
* محاصرة .
* أنا يوسف يا أبي .

وترجم قصائد درويش عدد من المترجمين الإيرانيين المعروفين ، ومن أبرزهم جاهد جهانشاهي ويوسف عزيزي وموسى بيدج ، وتراب حق شناس .

كما تضمن أرشيف المكتبة أكثر من خمسين مقالة حول الشاعر الراحل نشرت في عدد من الدوريات والصحف الإيرانية في مراحل زمنية مختلفة .

كان لغة وعشقا

ووصف المترجم جهانشاهي درويش بأنه لم يكن شاعرا فقط ، بل كان شعرا ولغة وألما وعشقا ورمزا لمقاومة فلسطين .

وقال جهانشاهي الذي ترجم عددا من دواوين الراحل إلى الفارسية إن أشعار درويش نجحت بتصوير الألم الذي علق في أعناق الفلسطينيين ، واستطاعت نقله بحس قل مثيله .

وأشار جهانشاهي إلى أن شعر درويش كان عشقا ، لكنه «لم يكن ماديا أو عاديا بل كان للوطن والتراب» .

وقارن جهانشاهي بين درويش والشاعر التشيلي بابلو نيرودا والشاعر الألماني ريلكه ، وأكد أن درويش تربع على عرش شعر المقاومة .

درويش مثل انطلاقة

واعتبر المترجم أستاذ الأدب العربي موسى بيدج أن درويش مثل

انطلاقة جديدة للشعر العربي وشعر المقاومة في العالم أجمع ، وأضاف أن تعابير العشق والاستعارات التي ضمنها شعره بكثافة كانت ممتزجة بحب الوطن .

وأكد مترجم «العصافير تموت في الجليل» أن اسم درويش يوقظ في ذاكرة الإنسانية جمعاء معنى النضال ويذكرها بقضية فلسطين .

وأضاف : «في الشعر العربي المعاصر يمكننا أن نضع عددا من الأسماء في المقدمة ، ويمكننا القول إن درويش متقدم عليها بعشرين عاما» .

ويرى بيدج فلسطين قضية رفعت أشعار درويش إلى الأوج ، لكن أشعاره في الوقت نفسه لها مكانتها البارزة من الناحية الفنية والنقدية .

وبثت وكالة أنباء الكتاب الإيرانية (ايبنا) تغطيات كثيرة حول الشاعر الراحل ، وقالت في إحداها إن رحيل درويش خسارة فادحة لأدب المقاومة .

ليلة درويش

وكانت الأوساط الأدبية في إيران قد أقامت قبل أشهر «ليلة درويش» للاحتفاء بمن وصفته شاعر المقاومة الأول .

وتضمنت الليلة التي نظمتها مجلة بخارا في بيت الفنانين عرضا للفيلم الوثائقي «سفر إلى فلسطين» وشهادات لأدباء معروفين حول إبداع درويش .

ومما جاء في الليلة ما قاله الشاعر الإيراني الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني : «إذا أردنا انتخاب اسم عندما يذكر تتداعى إلى الذهن فلسطين فهو محمود درويش» .

(الجزيرة نت/ فاطمة الصمادي-طهران ٢٠٠٨/١٢/٨)

الأهواز تودع محمود درويش

وفي الأهواز أقيم يوم الجمعة ١٥ من آب (أغسطس) حفل تأبيني بمناسبة رحيل الشاعر العربي الفلسطيني محمود درويش ، أقامته مؤسسة الشرق الثقافية وذلك في قاعة المدينة في الأهواز ، وحضر الحفل حشد من الجماهير العربية الأهوازية من جميع أنحاء الإقليم ، وبدأ الحفل بتلاوة من القرآن الكريم ثم جرى عرض فلم يتضمن قصيدتين من إلقاء الشاعر الراحل .

وقام عدد من الشعراء والأدباء العرب الأهوازيين بإلقاء قصائد وكلمات بالعربية وأخرى بالفارسية رثوا فيها الشاعر الكبير محمود درويش ، وأشادوا بمسيرة حياته الشعرية والسياسية وصموده طوال حياته بوجه الملاحقات والسجن وآلام الغربة .

وقدم أحد المشاركين كلمة تناول فيها بالطرح التحليلي مراحله الشعرية وتأثير أسلوبه الشعري على الشعر العربي فنياً ومنهجياً ، كما ألقيت قصائد لم تخل من أسى وحزن على فقدان واحد من أهم أعلام التاريخ الأدبي والسياسي العربي المعاصر . وألقيت أيضا مقاطع من رثائية سميح القاسم لأخيه وحبيبه وشريكه في الدرب محمود درويش .

واختتم الحفل بكلمة أخيرة عن الشاعر الراحل ودوره ومكانته في شعر المقاومة الفلسطينية بشكل خاص ، والثورة الفلسطينية بشكل عام .

وكانت جدران القاعة ومداخلها زينت بصور محمود درويش وقصائده .

جدير بالذكر أنه رغم الخناق السياسي- الثقافي الذي يحيط بنشاط المثقفين الأهوازيين إلا أن الأمسية جاءت لتتحدى هذا الخناق ، حاملة معها روح التضامن العربية ، بعيدا عن التشدد لتفويت الفرصة على

السلطة من قيامها بقمع النشاط الثقافي - الاجتماعي - السياسي .

يعتبر محمود درويش أحد أشهر شعراء المقاومة الفلسطينية لدى جماهير عرب الأهواز ، إذ يرون في شعره الرافض سلاحاً للمقاومة ضد الاحتلال والاضطهاد ، ليس للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة فحسب ، وإنما لسائر الشعوب المضطهدة في كل مكان . حتى أصبحت أشعاره وقصائده تردد على ألسنة المواطنين العرب في الأهواز من عامة ومثقفين ، بل وبين الأوساط التقدمية والمثقفة في إيران ككل . حيث ترجم الكثير من أعماله الشعرية إلى جانب آخرين من شعراء المقاومة الفلسطينية ، إلى الفارسية .

وبهذا سيظل محمود درويش بشعره ومواقفه ومبادئه «عالياً كالغصن» في سماء الكلمة الحرة المقاومة ، ونبضاً حياً في قلوب وضمائر أبناء الشعب الفلسطيني والجماهير العربية وسائر شعوب العالم .

(القدس - الأحد ، أغسطس ٢٠٠٨/١٧)

الفصل السابع

لقاءات - ذكريات شخصية
عن الزمن الأول

من أرشيف الذكريات الشخصية المكتنزة لدى عدد من أصدقاء درويش ، اخترنا فيما يلي اللقاء الذي كان أجراه معه الأستاذ طلال سلمان رئيس تحرير صحيفة السفير سابقا وناشرها اليوم ، وكذلك اللقاء الذي كان أجراه معه محمد دكروب .

(١)
طلال سلمان يتذكر

التقيت محمود درويش ، لأول مرة ، على هامش اجتماع استثنائي للمجلس الوطني الفلسطيني عقد في مبنى جامعة الدول العربية في القاهرة .

كان قد وصل لتوه من الأرض المحتلة ، كما كنا نسمي إسرائيل حينذاك ، وقد حسم أمره : لن يعود ليعيش محاصراً ومراقباً ، نصف أوقاته في السجن ونصفها الآخر في الطريق بين مكاتب جريدة «الاتحاد» وبين مركز الشرطة الإسرائيلية للإبلاغ عن «وجوده» حاضراً . . .

كـان «النجم» بلا منازع ، لقـد تدافع الكل إليـه يحـيـونه بالقـبـلات والدمـوع ، يرمـونه بألف سـؤال في الدقـيـقـة ، يقـفـون إلى جـانبـه لصـورة تذكارية ، يشكون إليه هموم واقعهم «العربي» بمرارة تكاد تفوق مرارته من واقع أهله تحت الاحتلال الإسرائيلي ، وهي كانت السبب في اتخاذه قراره الصعب بالخروج من السجن . . . يحاولون أن يعرفوا موقفه من ياسر عرفات ومن التنظيمات الفلسطينية «المعارضة» ، من أنور السادات ونظامه وهل هو «ناصري» فعلاً أم «خرج» لأنه تغير . . .

لكنه ، في تلك اللحظات تحديداً ، لم يكن مستعداً لمثل هذه المقارنات التي كانت ستنتهي ، حكماً ، بإدانة قراره بالخروج . . . إلى الحرية ، التي اكتشف أن كل عربي تقريباً يبحث عنها في الأقطار الأخرى ، وخارج وطنه في أي حال . . .

وقـفت أرقب ، عن بعـد ، مع صـديقين ، مـصـري وفلسطيني ، تلك التظاهرة المختلفة بموضوعها وأسئلتها والتداعيات عن كل ما شهدناه قبلها . . .

في لحظة مـا ، انتبـه لوقوفنا بعيداً ، فـمـشى إلينا يتقـدمـه سـؤاله الضاحك : صرت فرجة! أليس ذلك!

تعارفنا ، وضع أسماءنا التي يعرفها على الوجوه التي لم يكن يعرفها ، وتواعدنا على لقاء خارج دائرة المتفرجين أو الآتين لاستعراض المواقف .

بعـد أيام التـقـينا . كـان قـد أنهى الجـولة الأولى من التـعـرف على «الكبار» ، فلسطينياً ومصرياً وبعض الضيوف العرب المدعوين كشهود ، وسـمـعنا منه انطباعاته الأولية عن كبار المثقفين والصحافيين الذين التقاهم ، خصوصاً في «الأهرام» وفي دار الهلال ، وشكا من أن معظمهم قد رحب به ، وإن شفع الترحيب بشيء من اللوم لخروجه : كنت أملاً في

الداخل ، ليس لأهل الداخل فحسب ، بل لنا أيضاً . . .

وكان يرد مستغرباً : ولكنني خرجت لأكسر الدائرة المقفلة التي يسجنني فيها الإسرائيلي ، جئت طلباً للأمل لي ، وللذين في الداخل . . .

لويس عوض كان الأكثر تحديداً ، قال : لقد جئنا في أيام الشقاء ، يا محمود . . .

كانت مصر تموج بالغضب بسبب الإرجاء المتكرر وغير المبرر لقرار الخروج إلى الحرب ، كانت حرب الاستنزاف قد أعادت إلى المصريين الثقة بقدرتهم على مواجهة إسرائيل ، بل وعلى إلحاق الهزيمة بها ، وكانوا يرون أن السادات قدم معركته الشخصية لترسيخ سلطته ضد «الناصريين» أو قل ضد «وطنيي النظام» على المعركة ضد العدو الإسرائيلي . . . تاركاً زهرة شباب مصر ، من المهندسين والأطباء والمرشحين ليكونوا علماء ، فضلاً عن الكتاب والشعراء والصحافيين ، يغرقون مع علمهم في رمال «الدشم» والمتاريس المحصنة . . . ولا قتال! .

إن تكلم محمود...!

وقرر محمود درويش أن يسمع فلا يعلق ، وأن يتكلم إذا ما تكلم عن إسرائيل ، مجتمعاً وأحزاباً وقادة سياسيين وتنظيمات ، وعن جيشها بحدود ما يعرف عنه . . . وبطبيعة الحال عن «الفلسطينيين» فيها التي أنكرت عليهم «فلسطينيتهم» وجعلتهم «عرب إسرائيل»!

عرف محمود درويش الكثير عن مصر : من محمد حسنين هيكل ومجموعة «الخالدين» في الطابق السادس من «الأهرام» ، توفيق الحكيم والحسين فوزي ، وصلاح عبد الصبور ولويس عوض . . . واستمع إلى تحليل دقيق من أحمد بهاء الدين ، ومن مراد غالب ، ومن فتحي غانم ويوسف

إدريس ، ومن أحمد عبد المعطي حجازي وكثير غيرهم . . .

كان مبهوراً بالقاهرة التي أحب ، والتي يحفظ الكثير من أغاني مطربيها ومطرباتها الكبار ، محمد عبد الوهاب ، أم كلثوم ، محمد عبد المطلب ، عبد الحليم حافظ . . . لكن النيل ، ليلاً ، كان معبده!

جال مع الأصدقاء الجدد على المقاهي التي كان يحفظ أسماءها وأسماء زبائنها من الشعراء والكتاب غيباً : مقهى ريش ، بار الانجلو ، سيسيل بار . . . لكنه كان شديد الحساسية تجاه الغبار و«الشعبوية» ، لذا فقد قرر أن تكون لقاءاته في بعض مقاهي الفنادق الكبرى «حيث تضمن ، على الأقل ، نظافة المكان»!

من القاهرة الى بيروت

بعد القاهرة مباشرة كان لا بد من بيروت . . . وقد جاءها بغير إعلان ، «لأنها مدينة مخيفة» ، ولأنه يحتاج الوقت لكي يختار أين يقيم كإنسان ، فلا يعامله الناس كنجم ، يبادرونه في ربع الساعة الأولى ، طالبين منه أن يسمعهم قصيدته التي انتفى موضوعها : «سجّل أنا عربي»!

كان يحاول إقناعهم : أهمية هذه القصيدة أن تقال في وجه العدو الذي ينكر عليك عروبتك! أما أن تقولها للعرب المتباهين بعروبتهم فإنها تبدو مبتذلة وفي غير موقعها! بوسع كل منكم أن يقول : سجل أنا عربي . . . فلا يكون لكلامه أي معنى . أما المعنى هناك ، وفي وجه جندي الاحتلال .

بعد سنوات قليلة ، يزورني محمود درويش في «السفير» ليبلغني أنه ذاهب إلى الجزائر بدعوة رسمية . قلت بغير قصد الإحراج : ستجد نفسك تنشد أول ما تنشد القصيدة التي بت الآن تكرهها . . . سجّل أنا عربي!

ورد مستنكراً: فشرت! لن أقولها خارج فلسطين أبداً! . لكنه جاءني مسرعاً بعد عودته من الجزائر ليقول: معك حق! . وجدت نفسي أبدأ بقصيدتي التي لم تعد تعجبني، سجّل أنا عربي، وأختم بها! . هناك اكتشفت لها المعنى! لقد قُهر الجزائريون في لغتهم باعتبارها بعض قوميتهم! إن لها هناك معنى التحدي للاستعمار الذي حرم أهل البلاد من لغتهم ليلغي هويتهم، وكانت تلك خطوة تمهيدية لمسح عروبتهم وجعلهم . . . فرنسيين»!

حديث استثنائي

لبيروت حديثها الاستثنائي مع محمود درويش، فهو قد وجد فيها ما كان يبحث عنه: العرب جميعاً والعالم كله، بشرقه وغربه وجنوبه وشماله . . . والأهم، أنه وجد فيها فلسطين بوجوهها الكثيرة، المأساة والثورة، اللجوء وخطر الذوبان، الإيمان والتشوه، المال والسلاح وبينهما الدول، ثم المنظمات والرجال والدول . . . كل الدول بمساوماتها ومناوراتها التي تطل من خلالها ملامح إسرائيل والمشروع الذي يوحدها مع «الغرب»، من دون أن يفقدها الشرق السوفياتي، آنذاك . . .

لم يجد محمود درويش لنفسه موقعاً في صفوف «الثورة»، ففضل أن يبقى على مسافة: يعطي المنظمة ما يقدر عليه، من دون أن يدخل إطارها السياسي والتنظيمي، ومع أنه أحب شخص ياسر عرفات وقدر فيه مزايا كثيرة، أهمها الصمود وسط أمواج الأنظمة المتلاطمة على جدران سفينة المنظمة . كان يرى فيه «الرمز الفلسطيني»، من دون أن يتجاهل أخطاءه بل وخطاياه أحياناً . . .

وعندما نجحت منظمة التحرير في انتزاع الاعتراف الدولي بها وتقرر أن يذهب ياسر عرفات ليخطب أمام الهيئة العامة للأمم المتحدة، كان من

الطبيعي أن يكتب محمود درويش بالذات هذا الخطاب التاريخي ، مع وعيه بأن عرفات سيدخل بعض التعديلات لأسباب يقدرها ، وأنه سيتعثر باللغة خلال إلقائه . . . وأنه سيرفق الكلمات بحركات واشارات قد تذهب بمعناها : جئتكم أحمل البندقية بيد وغصن الزيتون باليد الأخرى ، فقرروا ، أما قراري ففلسطين مع السلام .

علاقة محمود بدمشق

أما دمشق فعلاقة محمود درويش بها استثنائية ، كما علاقتها به . . . إنها قصة عشق حقيقي ، بعيداً عن السياسة ، قريباً من فلسطين ، والتاريخ ومجد الصعود ، شعراً وأدباً ، ونجاحاً سياسياً . . .

أذكر أنه طلب مني ذات ليل من أواخر أيلول أن آخذه إلى دمشق ، وألح كعادته أن ننطلق فوراً ، والوقت منتصف الليل . . . وصدعت لأمره ، طبعاً ، فقصدنا دمشق التي لم تكن قد قامت فيها الفنادق الحديثة ، وكان مدخلها هو النهر الذي عشقه محمود من قبل أن يراه! بردى .

عند الحدود مررنا بما كان يسمى «الضابطة الفدائية» ـ وكانت خاصة بالفلسطينيين بعد اعتراف لبنان بحق الفدائيين في استخدام أرضه للعبور إلى فلسطين المحتلة ، وهي ، الجار والمدخل وحاملة هموم التهجير .

استقبلنا شاب في أوائل العشرين ، أسمر بعينين كحيلتين ، وملامح تقربه من الصورة المتخيلة للمقاوم ، مقتحم الحدود ، مواجه العدو بشجاعته الفائقة وسلاحه الخفيف . ولقد أخضع هذا الشاب النحيل محمود درويش لاستجواب قاس يمكن تلخيصه بسؤال كرره عليه مراراً : كيف تكون في الداخل وتخرج في حين أننا نموت من أجل أن ندخل إلى فلسطين؟!

لأول مرة ، رأيت محمود درويش يخضع لاستجواب حاد ، فيدافع عن

نفسه بمعاذير متعددة ، ويروي عبثية استمراره في مواجهة يومية مفتوحة وعبثية مع الشرطة الإسرائيلية : تعتقله ثم تطلقه لتعود فتعتقله ، ثم تجبره على المرور بها مرتين في اليوم لإثبات «وجوده» . . . وكان أن اتخذ قراره بالخروج!

بلغنا دمشق حوالى الثالثة فجراً (عن طريقها القديم إلى بيروت) . كان معرض دمشق الدولي على وشك أن يقفل أبوابه ، ومجرى نهر بردى الذي أقيم عند ضفته الجنوبية شحيح المياه ، وقد رميت فيه الصناديق وفضلات البضائع والمعروضات .

كان محمود متلهفاً لرؤية «بردى» الذي جرى في قصائد كبار الشعراء . . . مفترضاً أن نهر دمشق قريب من نيل القاهرة . ولقد فجع مع الصباح فقرر أن نعود فوراً إلى بيروت ، بينما كان بعض الأصدقاء قد جاؤوا للسلام عليه فأخذوه في جولة «سياحية» زادته إصراراً على العودة إلى بيروت فوراً : أعدني إلى الأمكنة النظيفة! هنا الغبار يغطي العيون فلا نرى!

على أن مفاجأة عظيمة كانت تنتظرنا حين عدنا إلى الفندق : وجدنا حشداً يتجاوز عديده الألفين ، قد تجمع للسلام على محمود درويش ، بعدما شاع خبر وجوده في عاصمة الأمويين ، وكان بين الجمع وزير الثقافة آنذاك ، فوزي الكيالي ، وكبار أدباء سوريا ، الشعراء منهم وأهل المسرح والأدباء . وأبناء مخيم اليرموك . . . والكثير من الوزراء والأعيان ، وكثير كثير من الشبان والشابات عشاق درويش .

ظل محمود على عناده . . . برغم أن كثيرين ممن تجمعوا قد صافحوه والدموع تغطي وجوههم! . بالكاد قبل دعوة الوزير إلى الغداء بصحبة نخبة من أدباء سوريا ثم عدنا إلى بيروت فعلاً . . .

لكنه بعد ذلك صار يغتنم كل مناسبة ليجيء إلى دمشق حيث اكتشف أن جمهوره يكاد يكون الأعظم اهتماماً بالشعر ، ولعله متميز في ذائقته الفنية ، فكانت كل أمسية لمحمود درويش تقتضي ترتيبات أمنية استثنائية لحفظ النظام ، بينما عشرات الآلاف يحتشدون في المكان أو من حوله لسماع فلسطين تتحدث عن ذاتها بلسانه . . . وقد اضطر المنظمون في غير حالة أن ينقلوا الأمسية إلى المدينة الرياضية ، لإرضاء الجمهور العاشق شاعره . . . النرجسي!

معرفة دقيقة بالعدو

على امتداد ستة وثلاثين عاماً ، من الصداقة مع محمود درويش ، التي امتدت إلى أسرتي برغم «عدائيته» المحببة ، ومن المتابعة بالإعجاب والتقدير لنتاجه الغزير بمستواه الاستثنائي الرفيع ، كنا كثيراً ما نختلف في الرؤية وفي التقدير السياسي للأحوال ، وبالتحديد لأطوار الصراع العربي (الذي صار من بعد فلسطينياً) الإسرائيلي .

كان محمود درويش يتميز بمعرفة دقيقة بهذا العدو : مجتمعاً وسياسة ، أحزاباً ومطامح . . . ولأنه كان يعرفه إلى هذا الحد ، ثم إنه تعرف مباشرة إلى أحوال العرب ، فضلاً عن الأحوال الخاصة للفلسطينيين ، قيادة وجماهير ، منظمة ومعارضين ، فقد دفعته المعرفة إلى الذهاب بعيداً في تصوره لمستقبل لا يمكن أن يقوم على استمرار العداء إلى الأبد . ولقد أدرك ان العرب لا يعرفون عدوهم ، في حين أن عدوهم يعرفهم تماماً : يعرف عن قيادتهم وعن أحوال مجتمعاتهم ، عن صراعات الأنظمة وحروب القبائل (قبل أن تنحدر نزولاً إلى الطوائف والمذاهب والملل والنحل) . ومن هنا فقد داخله الشك في إمكان انتصار عربي حاسم

على إسرائيل . . . ثم رأى الانفصال بين الفلسطينيين وسائر العرب يصبح أمراً واقعاً ، مما يترك الشعب الفلسطيني برمته وحيداً أمام مصيره . . . بل لعله قد رأى ولمس وعرف كيف أن الفلسطينيين باتوا يخافون على قضيتهم من «العرب» ، أي الأنظمة المقتتلة على فلسطين وباسمها ، أكثر من خوفهم عليها من إسرائيل .

بصيرة محمود

وكان يرى ببصيرته قبل بصره الانقسام الفلسطيني ويخاف منه على ما تبقى من فلسطين .

ولقد مد محمود درويش بصره إلى المستقبل البعيد . . . فأخذ يمهد لعلاقة بين هذين الشعبين المحكومين بأن يعيشا على الأرض الواحدة ، وبمعزل عن ادعاءات الحق التاريخي ، أو الحقوق الطبيعية لأهل الأرض فيها ، لا تقوم على السلاح والقتل والموت والعداء الأبدي . . .

كان دقيقاً كل الدقة . لكنه كان مقتحماً . وكان اقتحامه من موقعه المميز مباغتاً . وكانت ردود الفعل عليه عصبية ، من الطرفين : بعض العرب رآه يتجاوز الحدود إلى المحرمات ، وبعض الإسرائيليين رأوا في دعوته خطراً جدياً لم يكن وارداً ، أقله على مستوى الوجدان وهذه الرؤية المستقبلية التي لا يقدر عليها إلا . . . الشعراء .

لكن ذلك حديث يطول ، فنرجئه إلى ما بعد وداع يليق بمحمود درويش ، أحد أعظم الشعراء الذين أنجبتهم فلسطين ، بل الأرض العربية جميعاً .

لنقف الآن إجلالاً لهذا المبدع الذي ذهب إلى الموت يقاتله مفتوح العينين ، واثقاً من النتيجة الحتمية . لكأنه أراد أن يقول للموت : أنا لا

أخافك ، لقد قلت كل ما عندي ، وانتصرت عليك فصمدت لسنين طوال وقد آن لي أن أرتاح ، وحرمتك من أن تأخذني إلا في الموعد الذي حددته . . . وبعدما قلت فيك تحديداً كل ما أردت أن أقوله .

وداعاً ، أيها العاشق من فلسطين الذي جعلها أغنية تسكن وجدان أطفالنا ، وأعطاها بعدها الإنساني العظيم كواحدة من معارك الحرية والحق في امتلاك الشعوب زمنها بارادتها .

ولن ينتهي الحديث عن محمود درويش المبدع ، المجدد ، الذي رفع الشعر إلى مرتبة لعلها الأعلى بين سائر وجوه الإبداع . . . فإلى اللقاء .

(طلال سلمان «السفير»-الاثنين أغسطس ٢٠٠٨/١١)

(٢)
بين شعر القضية وقضية الشعر

كما كان محمد دكروب أجرى حديثا ثقافيا مع محمود درويش ونشرته صحيفة «الأخبار» اللبنانية

الاثنين ٢٠٠٨/٨/١١ جاء فيه :

في حديث ثقافي قديم أجريته مع محمود درويش ـ ذات يوم من أيام عام ١٩٦٨ ـ قبيل انتقاله العاصف من فلسطين المحتلة إلى مصر وسائر بلدان العرب ، قال لي ، بثقة مَن يحدّد موقعه على خارطة الشعر ، في ذلك الزمان : «إنني أعتبر نفسي امتداداً نحيلاً ، بملامح فلسطينية ، لتراث شعراء الاحتجاج والمقاومة ، ابتداءً من الصعاليك حتى ناظم حكمت ولوركا وأراغون ، الذين هضمتُ تجاربهم في الشعر والحياة ، وأمدّوني بوقود معنوي ضخم» .

كان محمود في عنفوان شبابه ، وانطلاقات توهّجه الشعري ـ المقاوم ـ في أنحاء بلادنا ، يعلن للناس العرب ، الذين زلزلتهم الهزيمة ، عن وجود جماعات من الشعراء والمكافحين ، داخل فلسطين ، تمارس تمرّدها على غطرسة القوّة الإسرائيلية التدميرية ، وتضيء شموعاً في ليل الهزائم .

درويش ، وصحبة من شعراء فلسطين الشباب ، كانوا في هذا الموقع المقاوم للقمع العنصري ، في هذا السياق من شعر يتحدّى اليأس ويقدح الشرر . إلا أن محمود درويش بالذات ، المكافح ، والمنتمي ، والكاتب

السياسي في جريدة يومية ، كان شاعراً بالأساس ، يجري الشعر مجرى الدم في شرايينه وكل مكوّناته الإنسانية . وكان نهماً يعبّ الحياة ، والحب ، والثقافة ، وشغوفاً دائماً بتطوير الذات ، ثقافياً وفكرياً في السياق نفسه لتطوّر هذه الذات نفسها شعرياً .

وبقدر ما انعجن شعره بالقضية ، قضية وطنه المنفي عن شعبه والشعب المنفي عن وطنه ، في زمانه الشعري الأول ، فقد صارت القضية نفسها عنصراً مكوّناً في حركة تطوّر شعره ، ورؤاه الفكرية ، ومسارات حياته . لم تعد القضية عنصراً ما ، خارجياً ، «يعبّر الشاعر عنها» . . . فعلى مدى زمان محمود درويش الشعري ، صار الشعر الشعر ، هو القضية .

وكان في الظنّ أن تحوّلات محمود الشعرية ، وتوغّله في العمق ممّا يقال إنه : التباس ، ورمز ، وتصارع الرموز في قلب غموض الشعر وشفافيته - كان في الظنّ أن هذه التحوّلات تبتعد بالشاعر عن الجمهور وتُبعد الجمهور عن شاعرها .

فلماذا ظلّ الناس يحتشدون للاستماع إلى محمود درويش؟ مَنْ عاش زمان درويش الأول وجماهيريته : التصفيق الصاخب بما يشبه الطرب . . . ويتأمّل صورة احتشاد جمهور درويش في زماننا الحالي ، يرى عجباً ، مدهشاً ، ومحرّضاً على التفكّر والتحليل : جمهور درويش في زمانه هذا ، يستمع بشغف ، وهدوء ، يستمع ويتأمّل ، يستمع ويفكّر ، يشغّل جهازه الحيوي والعقلي والفكري ، يحاول الدخول إلى عمق الشعر ، إلى فكر درويش الشعري ، حتى عمقه الفلسفي والإنساني في نسغ الشعر وشرايينه .

كأننا نلمس ، هنا ، ذلك الفرق العميق بين أغنية الطرب (الجميلة على كل حال) والبناء السمفوني الشاسع الذي كلما طال وتعدّد

استماعك إليه تتوغّل عمقاً فيه ، وتعرّفاً إلى جمالياته . محمود درويش ، الشاعر أساساً ، لم يكن ليتعب فقط في إبداع ما يبدعه . . كان يتعب أيضاً ، ويكدح ، وينوّع في نهمه الثقافي الفكري والحياتي .

كانت القضية إحدى حوامل شعره الأول . صار الشعر الشعر هو قضية محمود درويش . وظلّ محمود درويش جماهيرياً ، بالعمق والمدى الشاسع . كان يرجو - كما قال لي منذ أربعين عاماً - أن يكون امتداداً نحيلاً لأمثال ناظم حكمت ولوركا وأراغون ، فصار واحداً من كبار شعراء العالم ، يضيء ، بملامح شعره الفلسطينية وعمقها ، دنيا الشعر في هذا العالم الواسع .

الفصل الثامن

مختارات من روائع درويش

في هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب التوثيقي الذي أعد للنشر في الذكرى الأربعين لوفاته ، نقدم فيما يلي مختارات مكثفة من أعمال وروائع المرحوم محمود درويش

سجل . . أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية
وتاسعهم سيأتي بعد صيف
فهل تغضب

سجل . . . أنا عربي . . .
وأعمل مع رفاق الكدح في محجر
وأطفالي ثمانية
أسلّ لهم رغيف الخبز والأثواب والدفتر
من الصخر
ولا أتوسل الصدقات من بابك
ولا أصغر أمام بلاط أعتابك
فهل تغضب

سجل . . .
أنا عربي . . .

انا اسم بلا لقب
صبور في بلاد كل ما فيها
يعيش بفورة الغضب
جذوري
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وفبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب
أبي من أسرة المحراث لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا بلا حسب .. ولا نسب
يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب
وبيتي كوخ ناطور من الأعواد والقصب
فلا ترضيك منزلتي ؟
انا اسم بلا لقب !

سجل ... أنا عربي ...
ولون الشعر فحمي ولون العين بني
وميزاتي : على رأسي عقال فوق كوفية
وكفي صلبة كالصخر .. تخمش من يلامسها
وعنواني : أنا من خربة عزلاء ... منسية
شوارعها بلا أسماء
وكل رجالها .. في الحقل والمحجر
فهل تغضب؟

سجل . . . أنا عربي . . .
سلبت كروم أجدادي وأرضا كنت أفلحها
أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور . .
فهل ستأخذها حكومتكم . .كما قيلا
إذن !!!!!
سجل . . .
برأس الصفحة الأولى
انا لا أكره الناس, ولا أسطو على أحد
ولكني . . . إذا ما جعت ، آكل لحم مغتصبي
حذار . . . حذار . . . من جوعي ومن غضبي

بحرٌ لأيلول الجديد . خريفنا يدنو من الأبواب
بحرٌ للنشيد المر . . . . . لمنتصف النهار
بحرٌ لرايات الحمام ، لظلنا ، لسلاحنا الفرديّ
بحرٌ للزمان المستعار
ليديكَ ، كم من موجةٍ سرقت يديك
من الإشارة وانتظاري
ضع شكلنا للبحر . ضع كيس العواصف عند أول صخرةٍ واحمل فراغكَ
. . . وانكساري
بحرٌ جاهزٌ من أجلنا
دع جسمك الدامي يصفق لخريف العمر أجراساً
ستتسع الصحاري
عما قليل . حين ينقضّ الفضاء على خطاك .
كنا نقطة التكوين ، كنا وردة السور الطويل وما تبقى من جدار
ماذا تبقى منك غير قصيدة الروح المحلّق في دخان القيامة
وقيامة بعد القيامة .
خذ نُثاري وانتصر في ما يمزق قلبك العاري
ويجعلك انتشاراً للبذار

قوساً يلّم الأرض من أطرافها
جرساً لما ينساه سكان القيامة من معانيك
انتصــــرْ ،
إن الصليب مجالك الحيويُّ
مسراك الوحيد من الحصـــار إلى الحصـــار .
بحرٌ لأيلول الجديد . وأنت إيقاع الحديد
تدقُّني سحباً على الصحراء
فلتمطـــر لأسحب هذه الأرض الصغيرة من إساري
لا شيء يكســـرنا ، وتنكسر البلاد على أصابعنا كفخارٍ
وينكسر المسدس من تلهفكَ .
انتصـــرْ ، هذا الصباح ، ووحد الرايات والأمم الحزينة والفصول
كلٍّ ما أوتيت من شبق الحياة ،
بطلقة الطلقات . . . . باللاشيء .
وحدنـا بمعجزة فلســـــطينيةٍ . . . .
نم يا حبيبي ، ساعةً
لنمر من أحلامك الأولى إلى عطش البحار . . . إلى البحارِ .
نم يا حبيبي ساعةً
حتى تتوب الجدلية مرة أخرى ، ويتضح انتحاري .
نم ، يا حبيبي ، ساعةً
حتى يعود الروم ، حتى نطرد الحراس عن أسوار قلعتنا
وتنكســــر الصـــواري .
كي نصفق لاغتصاب نسائنا في شارع الشرف التجاري .
نم يا حبيبي ساعةً حتى نموت

هي ساعة للانهيار
هي ساعة لوضوحنا
هي ساعة لغموض ميلاد النهار

كم كنت وحـــدك ، يا ابن أمّي ،
يا ابن أكثر من أب
كم كنت وحــــدكً
القمح مـرٌّ في حقول الآخرين
والماء مالح ، والغيـم فولاذٌ . وهذا النجم جارح
وعليك أن تحيـــا وأن تحيــــا
وأن تعطي مقابل حبّـة الزيتون جلدك .
كم كنت وحــــدك .

لاشيء يكسرنا ، فلا تغرق تماما
في ما تبقى من دمٍ فينا . . .
لنذهب داخل الروح المحاصر بالتشابه واليتامى
يا ابن الهواء الصلبِ ، يا ابن اللفظة الأولى على الجزر القديمة
يا ابن السيدة البحيرات البعيدة ،
يا ابن من يحمي القدامى . . . . من خطيئتهم
ويطبع فوق وجه الصخر برقاً أو حماما
لحمي على الحيطان لحمك ، يا ابن أمي
جسدٌ لأضراب الظلال
وعليك أن تمشي بلا طرُقٍ

وراءاً ، أو أماماً ، أو جنوباً أو شمال
وتحرّك الخطوات بالميزان
حين يشـــاء من وهبوك قيدك
ليزينوك ويأخذوك إلى المعارض كي يرى الزوار مجدك
كم كنت وحـــــــــــــــــدك !
كم كنت وحـــــــــــــــــدك !

هي هجرة أخرى . . .
فلا تكتب وصيتك الأخيرة والسلاما
سقط السقوطُ ، وأنت تعلو
فكرةً
ويداً
و . . . شاما !
لا برٌّ إلا ســـــــــــــــاعداك
لا بحر إلا الغامض الكحليّ فيك
فتقمص الأشياء كي تتقمص الأشياء خطوتك الحراما
واسحب ظلالك من بلاط الحاكم العربيّ
حتى لا يعلقها وساما
واكسر ظلالك كلها كيلا يمدوها بساطاً أو ظلاما .
كسروكَ ، كم كسروك كي يقفوا على ساقيك عرشا
وتقاسموك وأنكروك وخبّأوك وأنشأوا ليديك جيشا
حطّوك في حجرٍ . . وقالوا : لا تسـلّم
ورموك في بئـرٍ . . وقالوا : لا تسـلّم

وأطلت حربكَ ، يا ابن أمي ،
ألـف عام ألـف عام ألـــف عام في النهار .
فأنكروك لأنهم لا يعرفون سوى الخطابة والفرار .
هم يســـــــرقون الآن جلدك
فاحـذر ملامحهم . . . . . وغمدك
كم كنت وحدكَ ، يا ابن أمي ،
يا ابن أكثر من أبٍ ،
كم كنت وحــدك ! .

والآن ، والأشياء سيدةٌ ، وهذا الصمت عال كالذبابه
هل ندرك المجهول فينا ؟ هل نغني مثلما كنا نغني ؟
سقطت قلاع قبل هذا اليوم ، لكن الهواء الآن حامض .
وحدي أدافع عن هواء ليس لي
وحدي أدافع عن هواءٍ ليس لي
وحدي على سطح المدينة واقفٌ . .
أيوب مات ، وماتت العنقاءُ ، وانصرفَ الصحابة
وحـــدي . أراود نفسيَ الثكلى فتأبى أن تســاعدني على نفسي
ووحـــدي . . . . كنت وحدي
عندما قاومت وحــدي . . . وحدة الروح الأخيــرة . . .

لا تذكر الموتى ، فقد ماتوا فرادى أو . . عواصـــم
سأراك في قلبي غداً ، سأراك في فلبي
وأجهش يا ابن أمي باللغة

لغـة تفتـش عن بنيها ، عن أراضيها وراويهـا
تموت ككل من فيها ، وترمى في المعاجم .
هي آخـر النخل الهزيل وساعة الصحراء ،
آخـر ما يدل على البقايا
كـانــوا ! ولكن كنت وحدك
كم كنت وحدك تنتمي لقصيدتي ، وتمدّ زنـدك ،
كي تحولّها سلالم ، أو بلاداً ، أو خواتـم
كم كنت وحدك يا ابن أمي
يا ابن أكثر من أبٍ
كم كنت وحـــدكَ ! . . .

والآن ، والأشياء سيّدةٌ ، وهذا الصمت يأتينا سهاماً
هل ندرك المجهول فينا . هل نغني مثلما كنا نغني ؟
آه ، يا دمنا الفضيحة ، هل ستأتيهم غماما ،
هذه أم تمرٌ وتطبخ الأزهار في دمنا . . . . وتزداد انقساما .
هذه أم تفتـّش عن إجازاتها من الجَمَل المزخرفِ . .
هذه الصحـــــــــراء تكبر من حولنـــا
صحراء من كل الجهات
صحـــراء تأتينا لتلتهم القصيدة والحســاما .
هل نختفي فيما يفسـّرنا ويشبهنا
وهل . . هل نستطيع الموت في ميلادنا الكحليّ
أم :
نحتل مئذنة ونعلن في القبائل أن يثرب أجرت قرآنها ليهود خيبر ؟

الله أكبـر
هـذه آياتنا ، فأقرأ
باســم الفـــدائي الذي خلقا
من جزمة أُفُقا .
باسم الفــدائي الذي يــرحل
من وقتــكم . . لنائه الأول
الأول . . الأول
ســـندمر الهيــكل . . . . ســـندمر الهيــكل

أشــلاؤنا أســماؤنا . لا . . . لا مفـرٌ .
ســـقط القناع عن القناع عن القناع ،
ســقط القنـاع
لا إخـوةٌ لك يا أخي ، لا أصدقاءُ يا صديقي ، لاقــلاع
لا الماء عنـدكَ ، لا الدواء ولا الســماء ولا الدمــاءُ ولا الشـــراع
ولا الأمــام ولا الـــوراء .
حاصـــــــــر حصاركَ . . . . . لا مفـرٌ
سقطت ذراعك فالتقطها
واضـــرب عدوك . . لا مفرٌ
وسقطت قربك ، فالتقطني
واضربْ عدوك بي . . فأنت الآن حـرٌ
حـــرٌ . . . . . . وحـــرٌ
قتلاك أو جرحاك فيك ذخيرةٌ
فاضرب بها . اضرب عدوك . . لا مفرٌّ

أشـــلاؤنا أسماؤنا
حاصر حصارك بالجنونِ . . . . وبالجنونِ . . . . . وبالجنونْ
ذهب الذين تحبهم ذهبوا
فإما أن تكون أو لا تكون ،
ســـقط القناع عن القناع عن القناع ،
ســـقط القنـاع
ولا أحدْ
إلاك في هذا المدى المفتوح للأعداء والنسيان ،
فاجعل كلَّ متراسٍ بلد
لا . . . لا أحـــدْ
سقط القناع :
عربٌ أطاعوا رومهم
عربٌ وباعوا روحهم
عربٌ . . . . وضاعوا
والله غمّس باسمك البحري أسبوع الولادة واستراح إلى الأبد
كُن أنت . كـن حتى يكـــون !
لا . . . لا أحـــدْ

هل أنا ألفٌ ، وباءٌ للكتابة أم لتفجير الهياكل ؟
كم سنه كنا معاً طوق النجاة لقارة محمولةٍ فوق السراب
ودفتر الإعراب ؟
كم عربٌ أتوك ليصبحوا غرباً
وكم غربٌ أتاكِ ليدخل الإسلام من باب الصلاة على النبيٍّ

وسنَّة النفط المقدّس ؟ كم سنة
وأنا أصدّق أن لي أماً ستتبعني
وأنكِ تكذبين على الطبيعة والمسدَّس . كم سنة ، !

. . . . . .

من تزوجني ضفائرنا لأشنق رغبتي وأموت كالأم القديمة .
كم سنه أغريتني بالمشي نحو بلادي الأولى
وبالطيران تحت سمائي الأولى
وباسمك كنت أرفع خيمتي للهاربين من التجارة والدعارة والحضارة
كم سنة كنا نرش على ضحايانا كلام البرق :
بعد هنيهة سنكون ما كنا وما سنكون
إما أن نكونَ نهارك العالي . . . . وإما أن نعود إلى البحيرات القديمة .
كم سنة لم تسمعيني جيداً . لم تردعيني جيداً .
لم تحرميني من فواكهك الجميلة .
لم تقولي :
حين يبتســـم المخيم تعبس المدن الكبيرة !!
كم سنه
قلنا معـاً : أنا لا أشاء ، ولا تشائين . اتفقنا . كلنـّا في البحر مـاء .
كم ســنه كانت تنظّـمنا يدُ الفوضــى :
تعبنا من نظام الغاز ،
من مطر الأنابيب الرتيب
ومن صعود الكهرباء إلى الغرف . . .
حريتي فوضاي . إني أعترف

وسأعترف بجميع أخطائي ، وما أترف الفؤاد من الأماني
ليس من حق العصافير الغناء على سرير النائمين ،
والإيديولوجيا مهنة البوليس في الدول القوية :
من نظام الرقّ في روما
إلى منع الكحول وآفة الأحزاب في ليبيا الحديثة .
كم سنه
نحن البداية والبداية والبداية . كم سنة
كنا هناك . ومن هنا ستهاجر العربُ
لعقيدة أخرى وتغتربُ
قصبٌ هياكلنا
وعروشنا قصبُ
في كل مئذنة
حاوٍ ، ومغتصبٌ
يدعو لأندلسٍ
إن حوصرت حلبُ .

. . . فجراً :
يطلق البحر الرصاص على النوافذ . يفتح العصفور أغنيةً مبكرة .
يطيّرُ جارنا رفّ الحمام إلى الدخان .
يموت من لا يستطيع الركض في الطرقات :
قلبي قطعة من برتقال يابس .
أهدي إلى جاري الجريدة كي يفتش عن أقاربه . . . . أعزيه غدا .
أمشي لأبحث عن كنوز الماء في قبو البناية .

يدخل الطيران أفكاري ويقصفها
فيقتل تسع عشرة طفلة
يتوقف العصفور عن إنشاده . . . .
والموت يأتينا بكل سلاحه الجويّ والبريّ والبحريّ .
ألـــــف قذيفة أخرى . . . . ولا يتقدم الأعداء شبراً واحداً
ما زلت حياً - ألف شكر للمصادفة السعيدة .
يبذل الرؤساء جهداً عند أمريكا لتفرج عن مياه الشرب .
كيف سنغسل الموتى ؟
ويسأل صاحبي : وإذا استجابت للضغوط فهل سيسفر موتنا عن :
دولة . . . . أم خيمـة ؟
قلتُ : انتظر ! لا فرق بين الرايتين
قلت : انتظر حتى تصب الطائرات جحيمها !

. . . ظهراً :
يستمر الفجرُ منذ الفجر .
تنكسر السماء على رغيف الخبز .
ينكسر الهواءُ على رؤوس الناسِ من عبء الدخان . . . . ولا جديد
لدى العروبة !!
بعد شهر يلتقي كلُّ الملوك بكل أنواع الملوك ،
من العقيد إلى الشهيد ، ليبحثوا خطر اليهود على وجود الله .
أما الآن فالأحوال هادئة تماماً مثلما كانت .
والموت يأتينا بكل سلاحه الجوي والبري والبحري .
مليون انفجار في المدينة .

هيروشيما هيروشيما
وحدنا نصغي إلى رعد الحجارة ،
وحدنا نصغي لما في الروح من عبثٍ ومن جدوى
وأمريكا على الأسوار تهدي كل طفلٍ لعبة للموت عنقودية
يا هيروشيما العاشق العربي
أمريكا هي الطـــاعون ، والطـــــاعون أمريكا
نعسنا . أيقظتنا الطائرات وصوت أمريكا
وأمريكا لأمريكا
وهذا الأفق اسمنتٌ لوحشِ الجو .
نفتحُ علبةَ السردين ، تقصفها المدافعُ
نحتمي بستارة الشباك ، تهتز البناية . تقفز الأبواب . أمريكا
وراء الباب أمريكا .

. . . ليلاً :
يخرج الشهداء من أشجارهم ، يتفقدون صغارهم ،
يتجولون على السواحل ، يرصدون الحلم والرؤيا
يغطون السماء بفائض الألوان ، يفترشون موقعهم
يسمّـون الجزيرة ، يغسلون الماء ، ثم يطرزون حصارنا
قططـــاً . . . . ونخلا
وحدنـــا ، والله فينا وحدنـــا
الله فينا قد تجلى !

. . . . أمسِ - الآنَ - بعدَ غدٍ :

نشيدٌ للخريف
صور لما بعد النهار
وظلال امرأةٍ غريبة .
وطني حقيبه
وحقيبتي وطني
ولكن . . . . لا رصيف ولا جدار .
لا أرض تحتي كي أموت كما أشاء ،
ولا سماء حولي لأثقبها وأدخل في خيام الأنبياء .
ظهري إلى الحائط
الحائط / الساقط !
وطني حقيبه
وحقيبتي وطن الغجر
شعبٌ يخيّمُ في الأغاني والدخان
شعبٌ يفتش عن مكان
بين الشظايا والمطر .
وجهي على الزهرة
الزهرة / الجمرة
وطني حقيبه
في الليل أفرشها سريراً
وأنام فيها
أخدع الفتيات فيها
أدفن الأحباب فيها
أرتضيها لي مصيراً

وأموت فيها
كفـيٍّ على النجمة
النجمة / الخيمه
وطني حقيبه
من جلد أحبابي
وأندلس القريبة
وطني على كتفي
بقايا الأرض في جسد العروبه .

أيها المارون بين الكلمات العابره
احملوا اسماءكم ، وانصرفوا
واسرقوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكره
وخذوا ما شئتم من صور ، كي تعرفوا
أنكم لن تعرفوا
كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء

أيها المارون بين الكلمات العابره
منكم السيف ـ ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار ـ ومنا لحمنا
منكم دبابة أخرى ـ ومنا حجر
منكم قنبلة الغاز ـ ومنا المطر
وعلينا ما عليكم من سماء وهواء
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا
وادخلوا حفل عشاء راقص . . وانصرفوا
وعلينا ، نحن ، أن نحرس ورد الشهداء . .
وعلينا ، نحن ، أن نحيا كما نحن نشاء!

أيها المارون بين الكلمات العابرة
كالغبار المر ، مروا أينما شئتم ولكن
لا تمروا بيننا كالحشرات الطائرة
فلنا في ارضنا ما نعمل
ولنا قمح نربيه ونسقيه ندى أجسادنا
ولنا ما ليس يرضيكم هنا :
حجر . . أو خجل
فخذوا الماضي ، إذا شئتم ، الى سوق التحف
وأعيدوا الهيكل العظمي للهدهد ، إن شئتم ،
على صحن خزف
فلنا ما ليس يرضيكم : لنا المستقبل
ولنا في أرضنا ما نعمل

أيها المارون بين الكلمات العابره
كدسوا أوهامكم في حفرة مهجورة ، وانصرفوا
وأعيدوا عقرب الوقت الى شرعية العجل المقدس
أو الى توقيت موسيقى مسدس!
فلنا ما ليس يرضيكم هنا ، فانصرفوا
ولنا ما ليس فيكم ، وطن ينزف شعبا ينزف
وطنا يصلح للنسيان أو للذاكرة . .

أيها المارون بين الكلمات العابره ،
آن أن تنصرفوا

وتقيموا أينما شئتم ، ولكن لا تموتوا بيننا
فلنا في أرضنا ما نعمل
ولنا الماضي هنا
ولنا صوت الحياة الأول
ولنا الحاضر ، والحاضر ، والمستقبل
ولنا الدنيا هنا . . . والآخرة
فاخرجوا من أرضنا
من برنا . . من بحرنا
من قمحنا . . من ملحنا . . من جرحنا
من كل شيء ، واخرجوا
من ذكريات الذاكره
أيها المارون بين الكلمات العابره! . .

أحنّ إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي . .
وتكبر فيّ الطفولة
يومًا على صدر يوم
وأعشق عمري لأني
إذا متّ ،
أخجل من دمع أمي!
خذيني ، إذا عدت يومًا
وشاحًا لهدبك
وغطّي عظامي بعشب
تعمّد من طهر كعبك
وشدّي وثاقي . .
بخصلة شعر . .
بخيطٍ يلوّح في ذيل ثوبك . .
عساني أصير إلهًا
إلهًا أصير . .

إذا ما لمست قرارة قلبك !
ضعيني ، إذا ما رجعت
وقودًا بتنور نارك . .
وحبل غسيل على سطح دارك
لأني فقدت الوقوف
بدون صلاة نهارك
هرمت ، فردّي نجوم الطفولة
حتى أشارك
صغار العصافير
درب الرجوع . .
لعش انتظارك !

وعاد..... في الكفن

-١-

يحكون في بلادنا
يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفن
كان اسمه . . .
لا تذكروا اسمه!
خلوه في قلوبنا . . .
لا تدعوا الكلمة
تضيع في الهواء ، كالرماد . . .
خلوه جرحاً راعفاً . . . لا يعرف الضماد
طريقه إليه . . .
أخاف يا أحبتي . . . أخاف يا أيتام . . .
أخاف أن ننساه بين زحمة الأسماء
أخاف أن يذوب في زوابع الشتاء!
أخاف أن تنام في قلوبنا
جراحنا . . .
أخاف أن تنام!!

-٢-

العمر . . . عمر برعم لا يذكر المطر . . .
لم يبك تحت شرفة الْقمر
لم يوقف الساعات بالسهر . . .
وما تداعت عند حائطٍ يداه . . .
ولم تسافر خلف خيط شهوةٍ . . . عيناه!
ولم يقبّل حلوةً . . .
لم يعرف الغزل
غير أغاني مطرب ضيّعه الأمل
ولم يقل لحلوة : الله!
إلا مرتين!
لم تلتفت إليه . . . ما أعطته إلا طرف عين
كان الفتى صغيرا . . .
فغاب عن طريقها
ولم يفكر بالهوى كثيرا . . . !

-٣-

يحكون في بلادنا
يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفن
ما قال حين زغردت خطاه خلف الباب
لأمه : الوداع!

ما قال للأحباب . . . للأصحاب :
موعدنا غداً!
ولم يضع رسالة . . . كعادة المسافرين
تقول : إني عائدٌ . . . وتسكت الظنون
ولم يخطّ كلمةً . . .
تضيء ليل أمه التي . . .
تخاطب السماء والأشياء ،
تقول : يا وسادة السرير!
يا حقيبة الثياب!
يا ليل! يا نجوم! يا إله! يا سحاب! :
أما رأيتم شارداً . . . عيناه نجمتان؟
يداه سلتان من ريحان
وصدره وسادة النجوم والقمر
وشعره أرجوحةٌ للريح والزهر!
أما رأيتم شارداً
مسافراً لا يحسن السفر!
راح بلا زوادة ، من يطعم الفتى
إن جاع في طريقه؟
من يرحم الغريب؟
قلبي عليه من غوائل الدروب!
قلبي عليك يا فتى . . . يا ولداه!
قولوا لها ، يا ليل! يا نجوم!
يا دروب! يا سحاب!

قولوا لها : لن تحملي الجواب
فالجرح فوق الدمع . . . فوق الحزن والعذاب!
لن تحملي . . . لن تصبري كثيرا
لأنه . . .
لأنه مات ، ولم يزل صغيرا!

-٤-

يا أمه!
لا تقلقي الدموع من جذورها!
للدمع يا والدتي جذور ،
تخاطب المساء كل يوم . . .
تقول : يا قافلة المساء!
من أين تعبرين؟
غصّت دروب الموت . . . حين سدّها المسافرون
سدّت دروب الحزن . . . لو وقفت لحظتين
لحظتين!
لتمسحي الجبين والعينين
وتحملي من دمعنا تذكار
لمن قضوا من قبلنا . . . أحبابنا المهاجرين
يا أمه ! لا تطلقي الدموع من جذورها
خلّي ببئر القلب دمعتين!
فقد يموت في غد أبوه . . . أو أخوه

أو صديقه أنا
خلي لنا . . .
للميتين في غد لو دمعتين . . . دمعتين!

-٥-

يحكون في بلادنا عن صاحبي الكثيرا
حرائق الرصاص في وجناته
وصدره . . . ووجهه . . .
لا تشرحوا الأمورا
أنا رأيت جرحه
حدقت في أبعاده كثيرا . . .
«قلبي على أطفالنا»
وكل أم تحضن السريرا!
يا أصدقاء الراحل البعيد
لا تسألوا : متى يعود
لا تسألوا كثيرا
بل اسألوا : متى
يستيقظ الرجال!

أنت منذ الآن غيرك!

٢٠٠٧/٦/١٨

هل كان علينا أن نسقط من عُلُوّ شاهق ، ونرى دمنا على أيدينا . . . لنُدْرك أننا لسنا ملائكة . . كما كنا نظن؟

وهل كان علينا أيضاً أن نكشف عن عوراتنا أمام الملأ ، كي لا تبقى حقيقتنا عذراء؟

كم كَذَبنا حين قلنا : نحن استثناء!

أن تصدِّق نفسك أسوأُ من أن تكذب على غيرك!

أن نكون ودودين مع مَنْ يكرهوننا ، وقساةً مع مَنْ يحبّوننا - تلك هي دُونيّة المُتعالي ، وغطرسة الوضيع! -

أيها الماضي! لا تغيِّرنا . . . كلما ابتعدنا عنك!

أيها المستقبل : لا تسألنا : مَنْ أنتم؟

وماذا تريدون مني؟ فنحن أيضاً لا نعرف

أَيها الحاضر! تحمَّلنا قليلاً ، فلسنا سوى عابري سبيلٍ ثقلاءِ الظل!

الهوية هي : ما نُورث لا ما نَرث . ما نخترع لا ما نتذكر . الهوية هي فَسادُ المرآة التي يجب أن نكسرها كُلّما أعجبتنا الصورة!

تَقَنَّع وتَشَجَّع ، وقتل أمَّه . . لأنها هي ما تيسَّر له من الطرائد . . ولأنَّ جنديَّةً أوقفته وكشفتْ له عن نهديها قائلة : هل لأمِّك ، مثلهما؟

لولا الحياء والظلام ، لزرتُ غزة ، دون أن أعرف الطريق إلى بيت أبي سفيان

الجديد ، ولا اسم النبي الجديد!

ولولا أن محمداً هو خاتم الأنبياء ، لصار لكل عصابةٍ نبيّ ، ولكل صحابيّ ميليشيا!

أعجبنا حزيران في ذكراه الأربعين : إن لم نجد مَنْ يهزمنا ثانيةً هزمنا أنفسنا بأيدينا لئلا ننسى!

مهما نظرتَ في عينيّ . . فلن تجد نظرتي هناك . خَطَفَتْها فضيحة!

قلبي ليس لي . . . ولا لأحد . لقد استقلَّ عني ، دون أن يصبح حجراً .

هل يعرفُ مَنْ يهتفُ على جثة ضحيّته - أخيه : «الله أكبر» أنه كافر إذ يرى الله على صورته هو : أصغرَ من كائنٍ بشريٍّ سويِّ التكوين؟

أخفى السجينُ ، الطامحُ إلى وراثة السجن ، ابتسامةَ النصر عن الكاميرا . لكنه لم يفلح في كبح السعادة السائلة من عينيه .

رُبَّما لأن النصّ المتعجِّل كان أَقوى من المُمثِّل .

ما حاجتنا للنرجس ، ما دمنا فلسطينيين .

وما دمنا لا نعرف الفرق بين الجامع والجامعة ، لأنهما من جذر لغوي واحد ، فما حاجتنا للدولة . . . ما دامت هي والأيام إلى مصير واحد؟ .

لافتة كبيرة على باب نادٍ ليليٍّ : نرحب بالفلسطينيين العائدين من المعركة . الدخول مجاناً! وخمرتنا . . . لا تُسْكِرا! .

لا أستطيع الدفاع عن حقي في العمل ، ماسحَ أحذيةٍ على الأرصفة . لأن من حقّ زبائني أن يعتبروني لصّ أحذية ـ هكذا قال لي أستاذ جامعة! .

<أنا والغريب على ابن عمّي . وأنا وابن عمّي على أَخي . وأَنا وشيخي عليّ> . هذا هو الدرس الأول في التربية الوطنية الجديدة ، في أقبية الظلام .

من يدخل الجنة أولاً؟ مَنْ مات برصاص العدو، أم مَنْ مات برصاص الأخ؟

بعض الفقهاء يقول: رُبَّ عَدُوٍّ لك ولدته أمّك!.

لا يغيظني الأصوليون، فهم مؤمنون على طريقتهم الخاصة. ولكن، يغيظني أنصارهم العلمانيون، وأَنصارهم الملحدون الذين لا يؤمنون إلاّ بدين وحيد: صورهم في التلفزيون!.

سألني: هل يدافع حارس جائع عن دارٍ سافر صاحبها، لقضاء إجازته الصيفية في الريفيرا الفرنسية أو الايطالية.. لا فرق؟

قُلْتُ: لا يدافع!.

وسألني: هل أنا + أنا = اثنين؟

قلت: أنت وأنت أقلُّ من واحد!.

لا أَخجل من هويتي، فهي ما زالت قيد التأليف. ولكنني أخجل من بعض ما جاء في مقدمة ابن خلدون.

أنت، منذ الآن، غيرك!.

لاعب النــرد

(قصيدة درويش الأخيرة)

مَنْ أَنا لأقول لكمْ
ما أَقول لكمْ؟
وأَنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ
فأصبح وجهاً
ولا قَصَباً ثقَبتْهُ الرياحُ
فأصبح ناياً . . .
أَنا لاعب النَرْد ، أَربح حيناً وأَخسر حيناً
أَنا مثلكمْ
أَو أَقلُّ قليلاً . . .
وُلدتُ إلى جانب البئر
والشجرات الثلاث الوحيدات كالراهباتْ
وُلدتُ بلا زَفَّةٍ وبلا قابلةْ
وسُمِّيتُ باسمي مُصَادَفَةً
وانتميتُ إلى عائلةْ
مصادفَةً ، ووَرِثْتُ ملامحها والصفاتْ
وأَمراضها :

مثل أُختي التي صرخت ثم ماتت
ولم تنتبه
إلى أَنها وُلدت ساعةً واحدةْ
ولم تعرف الوالدة . . .
أَو : كَبَيْض حَمَامْ تكسَّرَ
قبل انبلاج فًراخ الحمام من الكِلْسً ـ
كانت مصادفة أَن أكون
أنا الحيّ في حادث الباصً
حيث تأخَّرْتُ عن رحلتي المدرسيّة لأني نسيتُ الوجود وأَحواله
عندما كنت أَقرأ في الليل قصَّةَ حُبٍّ
تَقمَّصْتُ دور المؤلف فيها
ودورَ الحبيب - الضحيَّة فكنتُ شهيد الهوى في الروايةِ
والحيَّ في حادث السيرِ ـ
لا دور لي في المزاح مع البحرِ
لكنني وَلَدٌ طائشٌ
من هُواة التسكّع في جاذبيّة ماءْ
ينادي : تعال إليّ ،
ولا دور لي في النجاة من البحرِ
أَنْقَذَني نورسٌ آدميٌ
رأى الموج يصطادني ويشلُّ يديّ

كان يمكن أَلاَّ أكون مُصاباً
بجنِّ المُعَلَّقة الجاهليّةً

لو أَن بوَّابة الدار كانت شماليّةً
لا تطلُّ علي البحرً
لو أَن دوريّةَ الجيش لم تر نار القرى
تخبز الليلَ
لو أَن خمسة عشر شهيداً
أَعادوا بناء المتاريس
لو أَن ذاك المكان الزراعيَّ لم ينكسرْ
رُبَّما صرتُ زيتونةً
أو مُعَلّم جغرافيا
أو خبيراً بمملكة النمل
أو حارساً للصدى ،

مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم عند باب الكنيسةْ
ولستُ سوى رمية النرد
ما بين مُفْتَرِس وفريسةْ
ربحت مزيداً من الصحو
لا لأكون سعيداً بليلتيَ المقمرةْ
بل لكي أَشهد المجزرةْ

نجوتُ مصادفةً : كُنْتُ أَصغرَ من هَدَف عسكريّ
وأكبرَ من نحلة تتنقل بين زهور السياجْ
وخفتُ كثيراً على إخوتي وأَبي

وخفتُ على زَمَن من زجاجْ
وخفتُ على قطتي وعلى أرنبي
وعلى قمر ساحر فوق مئذنة المسجد العاليةْ
وخفت على عنَبِ الداليةْ
يتدلّى كأثداء كلبتنا . . .
ومشى الخوفُ بي ومشيت بهِ
حافياً ، ناسياً ذكرياتي الصغيرة عما أُريدُ
من الغد – لا وقت للغد –

أَمشي ـ أهرولُ ـ أركضُ ـ أصعدُ ـ أنزلُ ـ أصرخُ ـ أَنبحُ ـ أعوي ـ أنادي ـ أولولُ ـ أُسرعُ ـ أُبطئ ـ أهوي ـ أخفُّ ـ أجفُّ ـ أسيرُ ـ أطيرُ ـ أرى ـ لا أرى ـ أتعثَّرُ ـ أَصفرُّ ـ أخضرُّ ـ أزرقُّ ـ أنشقُّ ـ أجهشُ ـ أعطشُ ـ أتعبُ ـ أسغَبُ ـ أسقطُ ـ أنهضُ ـ أركضُ ـ أنسى ـ أرى ـ لا أرى ـ أتذكَّرُ ـ أَسمعُ ـ أُبصرُ ـ أهذي ـ أُهَلْوِس ـ أهمسُ ـ أصرخُ ـ لا أستطيع ـ أَئنُّ ـ أُجنّ ـ أَضلّ ـ أقلُّ ـ وأكثرُ ـ أسقط ـ أعلو ـ وأهبط ـ أُدْمَى ـ ويغمى عليّ ـ
ومن حسن حظّيَ أن الذئاب اختفت من هناك
مُصَادفةً ، أو هروباً من الجيش ـ
لا دور لي في حياتي
سوى أَنني ، عندما عَلَّمتني تراتيلها ، قلتُ : هل من مزيد؟
وأَوقدتُ قنديلها
ثم حاولتُ تعديلها . . .

كان يمكن أن لا أكون سُنُونُوَّةً لو أرادت ليَ الريحُ ذلك ، والريح حظُّ

المسافِر . . .
شمألتُ ، شرَّقتُ ، غَرَّبتُ
أما الجنوب فكان قصياً عصيّاً عليَّ
لأن الجنوب بلادي
فصرتُ مجاز سُنُونُوَّةْ لأحلِّق فوق حطامي ربيعاً خريفاً . .
أُعمِّدُ ريشي بغيم البحيرةِ
ثم أُطيل سلامي
على الناصريِّ الذي لا يموتُ
لأن به نَفَسَ الله
والله حظُّ النبيِّ . . .

ومن حسن حظِّيَ أَنيَ جارُ الألوهةِ . . .
من سوء حظِّيَ أَن الصليب
هو السُلَّمُ الأزليُّ إلى غدنا ،

مَنْ أَنا لأقول لكم
ما أقولُ لكم ، مَنْ أنا؟

كان يمكن أن لا يحالفني الوحيُ
والوحي حظُّ الوحيدين
إنَّ القصيدة رَمْيَةُ نَرْدْ على رُقْعَةٍ من ظلامْ
تشعُّ ، وقد لا تشعُّ
فيهوي الكلامْ

كريش على الرملً ـ
لا دَوْرَ لي في القصيدة
غيرُ امتثالي لإيقاعها :
حركات الأحاسيس حسّاً يعدِّل حساً
وحَدْساً يُنَزِّلُ معنى
وغيبوبة في صدى الكلمات
وصورة نفسي التي انتقلت
من أَنايَ إلى غيرها
واعتمادي على نَفَسي
وحنيني إلى النبع ـ
لا دور لي في القَصيدة إلاَّ
إذا انقطع الوحيُ
والوحيُ حظُّ المهارة إذ تجتهدْ

كان يمكن ألاَّ أُحبَّ الفتاة التي
سألتني : كمً الساعةُ الآنَ؟
لو لم أكن في طريقي إلى السينما . . .
كان يمكن ألاَّ تكون خلاسيّةً مثلما
هي ، أو خاطراً غامقاً مبهما . . .

هكذا تولد الكلماتُ . أُدرِّبُ قلبي
على الحب كي يَسَعَ الورد والشوكُ . . .
صوفيَّةٌ مفرداتي . وحسيَّةٌ رغباتي

ولستُ أنا مَنْ أنا الآن إلاَّ
إذا التقت الاثنتان :
أَنا ، وأَنا الأنثويَّةُ
يا حُبّ ، ما أَنت؟ كم أنتَ أنتَ ولا أنتَ . يا حبّ ، هُبَّ علينا عواصفَ
رعديّةً كي نصير إلى ما تحبّ
لنا من حلول السماويِّ في الجسديّ .
وذُبْ في مصبٍّ يفيض من الجانبين .
فأنت – وإن كنت تظهر أَو تَتَبطَّنُ – لا شكل لك
ونحن نحبك حين نحبُّ مصادفةً
أَنت حظّ المساكين .
من سوء حظّيَ أَني نجوت مراراً
من الموت حبّاً
ومن حُسْن حظّي أنيَ ما زلت هشاً
لأدخل في التجربةْ ،

يقول المحبُّ المجرّبُ في سرّه :
هو الحبُّ كذبتنا الصادقةْ
فتسمعه العاشقةْ
وتقول : هو الحبّ ، يأتي ويذهبُ
كالبرق والصاعقة

للحياة أقول : على مهلك ، انتظريني إلى أن تجفَّ الثُمَالَةُ في قَدَحي . . .
في الحديقة وردٌ مشاع ، ولا يستطيع الهواءُ

الفكاكَ من الوردةِ ـ انتظريني لئلاً تفرَّ العنادلُ مِنّي
فأُخطِئ في اللحنِ ـ في الساحة المنشدون يَشُدُّون أوتار آلاتهمْ
لنشيد الوداع . على مَهْلِكِ اختصريني
لئلاً يطول النشيد ، فينقطع النبرُ بين المطالع ، وَهْيَ ثنائيَّةٌ والختامُ الأُحاديّ :
تحيا الحياة ،
على رسلك احتضنيني لئلاً تبعثرني الريحُ ـ
حتى على الريح ، لا أستطيع الفكاك
من الأبجدية ـ
لولا وقوفي على جَبَلٍ لفرحتُ بصومعة النسر : لا ضوء أَعلى ،
ولكنَّ مجداً كهذا المُتوَّج بالذهب الأزرق اللانهائيِّ
صعبُ الزيارة : يبقى الوحيدُ هناك وحيداً
ولا يستطيع النزول على قدميه
فلا النسر يمشي
ولا البشريُّ يطير
فيا لك من قمَّة تشبه الهاوية
أنت يا عزلة الجبل العالية ،

ليس لي أيُّ دور بما كُنْتُ
أو سأكونُ . . .
هو الحظُّ . والحظ لا اسم لَهُ
قد نُسَمِّيه حدَّادَ أَقدارنا
أو نُسَمِّيه ساعي بريد السماء
نُسَمِّيه نجَّارَ تَخْتِ الوليد ونعشِ الفقيد

نسمّيه خادم آلهة في أساطيرَ
نحن الذين كتبنا النصوص لهم
واختبأنا وراء الأولمب . . .
فصدَّقهم باعةُ الخزف الجائعون
وكَذَّبَنا سادةُ الذهب المتخمون
ومن سوء حظ المؤلف أن الخيال
هو الواقعيُّ على خشبات المسارح -
خلف الكواليس يختلف الأَمرُ
ليس السؤال : متى؟
بل : لماذا؟ وكيف؟ وَمَنْ

مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم؟

كان يمكن أن لا أكون
وأن تقع القافلةْ
في كمين ، وأن تنقص العائلةْ
ولداً ، هو هذا الذي يكتب الآن هذي القصيدةَ
حرفاً فحرفاً ، ونزفاً ونزفاً
على هذه الكنبةْ
بدمٌ أسود اللون ، لا هو حبر الغراب
ولا صوتُهُ ، بل هو الليل مُعْتَصراً كُلَّه
قطرةً قطرةً ، بيد الحظِّ والموهبةْ

كان يمكن أن يربح الشعرُ أكثرَ لو
لم يكن هو ، لا غيره ، هُدْهُداً
فوق فُوَهَّة الهاويةْ
ربما قال : لو كنتُ غيري
لصرتُ أنا ، مرَّةً ثانيةْ
هكذا أَتحايل : نرسيس ليس جميلاً
كما ظنّ . لكن صُنَّاعَهُ
ورَّطوهُ بمرآته . فأطال تأمُّلَهُ
في الهواء المقَطَّر بالماء . . .
لو كان في وسعه أن يرى غيره
لأحبَّ فتاةً تحملق فيه ، وتنسى الأيائل تركض بين الزنابق والأقحوان . . .
ولو كان أَذكى قليلاً
لحطَّم مرآتَهُ
ورأى كم هو الآخرون . . .
ولو كان حُرّاً لما صار أُسطورةً . . .

والسرابُ كتابُ المسافر في البيد . . .
لولاه ، لولا السراب ، لما واصل السيرَ بحثاً عن الماء . هذا سحاب - يقول
ويحمل إبريق آماله بيَدْ وبأخرى
يشدُّ على خصره . ويدقُّ خطاه على الرمل كي يجمع الغيم في حُفْرةْ .
والسراب يناديه
يُغْويه ، يخدعه ، ثم يرفعه فوق : إقرأ
إذا ما استطعتَ القراءةَ . واكتبْ إذا

ما استطعت الكتابة . يقرأ : ماء ، وماء ، وماء .
ويكتب سطراً على الرمل : لولا السراب
لما كنت حيّاً إلى الآن ـ
من حسن حظِّ المسافر أن الأملْ
توأمُ اليأس ، أو شعرُهُ المرتجل

حين تبدو السماءُ رماديّةً
وأَرى وردة نَتَأَتْ فجأةً
من شقوق جدارْ
لا أقول : السماء رماديّةٌ
بل أطيل التفرُّس في وردةْ
وأَقول لها : يا له من نهارْ ،

ولاثنين من أصدقائي أقول على مدخل الليل : إن كان لا بُدَّ من حُلُم ، فليكُنْ
مثلنا . . . وبسيطاً
كأنْ : نَتَعَشّى معاً بعد يَوْمَيْنِ
نحن الثلاثة ، مُحْتَفلين بصدق النبوءة في حُلْمنا
وبأنَّ الثلاثة لم ينقصوا واحداً
منذ يومين ، فلنحتفل بسوناتا القمرْ
وتسامُح موت رآنا معاً سعداء
فغضَّ النظرْ ،
لا أَقول : الحياة بعيداً هناك حقيقيَّةٌ

وخياليَّةُ الأمكنةْ
بل أقول : الحياة ، هنا ، ممكنةْ

ومصادفةً ، صارت الأرض أرضاً مُقَدَّسَةً
لا لأنَّ بحيراتها ورباها وأشجارها
نسخةٌ عن فراديس علويَّةْ
بل لأن نبيّاً تمشَّى هناك
وصلّى على صخرة فبكتْ
وهوى التلُّ من خشية الله
مُغْمىً عليه

ومصادفةً ، صار منحدر الحقل في بَلَدْ
متحفاً للهباء . . .
لأن ألوفاً من الجند ماتت هناك
من الجانبين ، دفاعاً عن القائِدَيْن اللذين يقولان : هيّا . وينتظران الغنائمَ
في
خيمتين حريرَيتَين من الجهتين . . .
يموت الجنود مراراً ولا يعلمون
إلى الآن مَنْ كان منتصراً ،
ومصادفةً ، عاش بعض الرواة وقالوا : لو انتصر الآخرون على الآخرين
لكانت لتاريخنا البشريّ عناوينُ أُخرى

أُحبك خضراءَ . يا أرضُ خضراءَ . تُفَّاحَةً تتموَّج في الضوء والماء .

خضراء . ليلُك
أَخضر . فجرك أَخضر . فلتزرعيني برفق . . .
برفق يَدِ الأم ، في حفنة من هواء . أَنا بذرة من بذورك خضراء . . . .
تلك القصيدة ليس لها شاعر واحدٌ
كان يمكن ألا تكون غنائيَّةً . . .
من أنا لأقول لكم
ما أَقول لكم؟
كان يمكن أَلاَّ أكون أَنا مَنْ أَنا
كان يمكن أَلاَّ أكون هنا . . .

كان يمكن أَن تسقط الطائرةْ
بي صباحاً ، ومن حسن حظّيَ أَني نَؤُوم الضحى
فتأخَّرْتُ عن موعد الطائرةْ
كان يمكن أَلاَّ أرى الشام والقاهرةْ
ولا متحف اللوفر ، والمدن الساحرةْ

كان يمكن ، لو كنت أَبطأَ في المشي ، أَن تقطع البندقيّةُ ظلّي
عن الأرزة الساهرةْ

كان يمكن ، لو كنتُ أَسرع في المشي ، أَن أَتشظّى
وأصبح خاطرةً عابرةْ
كان يمكن ، لو كُنْتُ أَسرف في الحلم ، أَن أَفقد الذاكرة .

ومن حسن حظِّيَ أَني أنام وحيداً
فأصغي إلى جسدي
وأُصدِّقُ موهبتي في اكتشاف الألمْ
فأنادي الطبيب ، قُبَيل الوفاة ، بعشر دقائق
عشر دقائق تكفي لأحيا مُصَادَفَةً وأُخيِّب ظنَّ العدم
مَنْ أَنا لأخيِّب ظنَّ العدم ؟ مَنْ أنا ؟ مَنْ أنا ؟

درويش- الأعمال والجوائز

لم يتوقف محمود درويش على مدى حياته عن الإنتاج والعطاء، فكان له العديد من المؤلفات وكذلك العديد من الجوائز.

المؤلفات:

تجاوزت مؤلفات درويش الذي كتب إعلان الاستقلال الفلسطيني عام ١٩٨٨ أربعين مؤلفا كان أولها مجموعة «عصافير بلا أجنحة» عام ١٩٦٠، و«أوراق الزيتون» ـ ١٩٦٤، و«عاشق من فلسطين» ـ ١٩٦٦ و«آخر الليل» ـ ١٩٦٧ و«العصافير تموت في الجليل» ـ ١٩٧٠، و«حبيبتي تنهض من نومها» ـ ١٩٧٠، و«أحبك أو لا أحبك» ـ ١٩٧٢، و«محاولة رقم ٧» ـ ١٩٧٣، و«يوميات الحزن العادي» ـ ١٩٧٣، و«وداعاً أيتها الحرب، وداعاً أيها السلام» ـ ١٩٧٤، و«تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» ـ ١٩٧٥، و«أعراس» ـ ١٩٧٧، و«مديح الظل العالي» ـ ١٩٨٣، و«حصار لمدائح البحر» ـ ١٩٨٤، و«هي أغنية، هي أغنية» ـ ١٩٨٦، و«ورد أقل» ـ ١٩٨٦ و«في وصف حالتنا» ـ ١٩٨٧ و«أرى ما أريد» ـ ١٩٩٠، و«عابرون في كلام عابر» ـ ١٩٩١، و«أحد عشر كوكباً» ـ ١٩٩٢، و«لماذا تركت الحصان وحيدا» ـ ١٩٩٥، و«جدارية» ـ ١٩٩٩، و«سرير الغريبة» ـ ٢٠٠٠، و«حالة حصار» ـ ٢٠٠٢، و«لا تعتذر عما فعلت» ـ ٢٠٠٣، و«كزهر اللوز أو أبعد» ـ ٢٠٠٥ و«أثر الفراشة» ـ ٢٠٠٨.

وكان درويش من الشعراء العرب القلائل الذين يكتبون نثرا لا يقل في صفائه وجماله عن الشعر، ومن مؤلفاته النثرية: «شيء عن الوطن»، و«وداعا أيتها الحرب» و«وداعاً أيها السلام» و«يوميات الحزن العادي»

و«ذاكرة للنسيان» و«في وصف حالتنا» و«الرسائل» (بالاشتراك مع سميح القاسم) ، «الكتابة على ضوء البندقية» و«في حضرة الغياب» و«في ذاكرة النسيان» و«حيرة العائد» .

كما أعلنت وزارة الاتصالات الفلسطينية في ٢٧ تموز ٢٠٠٨ عن إصدارها طابع بريد يحمل صورته .

جوائز وتكريم

وقد حصد محمود درويش عددا من اهم الجوائز العالمية وهي :

- جائزة لوتس عام ١٩٦٩ .
- جائزة البحر المتوسط عام ١٩٨٠ .
- درع الثورة الفلسطينية عام ١٩٨١ .
- لوحة أوروبا للشعر عام ١٩٨١ .
- جائزة ابن سينا في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٢ .
- جائزة لينين في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٣ .
- الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي تونس ١٩٩٣
- الوسام الثقافي للسابع من نوفمبر ٢٠٠٧ تونس
- جائزة الأمير كلاوس الهولندية عام ٢٠٠٤ .
- جائزة سلطان العويس عام ٢٠٠٤
- جائزة القاهرة للشعر العربي عام ٢٠٠٧ .
- جائزة الركانة العالمية للشعر من المغرب عام ٢٠٠٨ .
- كما أعلنت وزارة الاتصالات الفلسطينية في ٢٧ يوليو ٢٠٠٨ عن إصدارها طابع بريد يحمل صورة محمود درويش .

هذا وقد ترجمت أعماله لأكثر من ٢٠ لغة .

الفهرس

FAREWELL, MAHMOUD DARWISH

شهادات

STATEMENTS

محمود درويش .. وداعا

◆ حمل درويش فلسطين في وجدانه وعقله وشعره، كما حملته جماهير فلسطين في قلبها وجراحها وآلامها، فزرع في الذاكرة الوطنيّة الفلسطينيّة والقوميّة العربيّة ذكرى النكبة وجريمة العصر.

قام درويش بدور المثقّف الحرّ في حشد الرأي العامّ العالميّ وراء قضيّته، وفي تحشيد الجماهير الفلسطينيّة والعربيّة خلف الهموم والقضايا الكبيرة للوطن والأمّة...

وشكّل درويش، كما يكثّف معن بشّور «مشروعًا ثقافيًّا متكاملاً، وخزّانًا رائعًا للتراث، وذاكرة أصيلة للشعب، ومستودعًا للآلام والآمال، ومنارة للسفن التائهة، ووقودًا لنضال شعب لا يعرف التعب».



مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث

2008
1934 - 2008
محمد الماغوط
دمشق عاصمة الثقافة العربية لعام 2008
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨
http://www.airpbooks.com